Moral Suspicions in Atheistic Thought: A Critical Study of Armin Navabi's Book 'Why There Is No God'

Dr. Raed S. Bani AbduRahman[(1)*] **Miss. Ayah A. M. Als'ad**[(2)]

Received: 25/05/2025 Accepted: 06/07/2025 published: 03/03/2026

Abstract

Objectives: This study aims to examine moral doubts in atheistic thought through a critical analysis of Armin Navabi's book *Why There Is No God*.

Method: Given the nature of the study, the researchers employed two approaches: the inductive method and the critical method, as these are appropriate for this type of research and analysis.

Results: The study reached a number of findings, most notably: the existence of God Almighty is affirmed through several rational and logical proofs, such as the argument from innate disposition (fitrah) and the argument from providence. Through examining Armin's doubts and his treatment of these proofs and his rejection of them in order to deny the existence of God, the study reveals the flaws in his reasoning. It also demonstrates the incorrectness of Armin's claim that God cannot be the source of morality, and that morality arose solely as a result of the evolution of living beings and the circumstances and conditions they undergo.

Conclusion: In light of the study's conclusions, the researchers recommend that students of knowledge continue examining the remaining arguments presented by Armin through critical study, and respond to the atheistic doubts contained therein by expanding the study of atheism and refuting its claims, without limiting themselves to existing studies and responses.

Keywords: Atheism, Navabi, Moral Suspicions.

الشبَه الأخلاقية في الفكر الإلحادي: دراسة نقدية لكتاب أرمين ناوابي "لماذا ليس هنالك إله"

د. رائد سعيد بني عبد الرحمن **الباحثة. آية أنور محمد السعد**

ملخص

الأهداف: تهدف الدّراسة إلى دراسة الشُبَه الأخلاقية في الفكر الإلحادي دراسة نقدية لكتاب أرمين ناوابي "لماذا ليس هنالك إله".

المنهجية: اقتضت طبيعة الدراسة أن يستخدم الباحثان المنهجين: الاستقرائي، والنّقدي باعتبار أن هذه المناهج مناسبة لهذا النوع من البحوث والدراسات.

النتائج: خلصت الدراسة إلى جملةٍ من النّتائج كان من أبرزها: ثبت وجود الله تعالى من خلال العديد من الأدلّة العقليّة المنطقيّة، كدليل الفطرة، ودليل العناية، ومن خلال الاطّلاع على شبهات أرمين حول تعامله مع هذا الدليل ورده عليه ليصل إلى

(1) Associate Professor, Department of Fundamentals of Religion, Yarmouk University, Irbid - Jordan.

(2) Researcher, Jordan.

* ***Corresponding Author:*** raed.said@yu.edu.jo

DOI: https://doi.org/10.59759/jjis.v22i1.736

إنكار وجود الله، وتبين خطأ ادّعاء أرمين بأنّ الله لا يمكن أن يكون مصدر الأخلاق، وأنّ الأخلاق نشأت فقط نتيجة تطوّر الكائنات الحيّة، ونتيجة الظّروف، والأحوال التي تمرّ بها هذه الكائنات.

الخلاصة: في ضوء استنتاجات الدّراسة، فإنّ الباحثين يوصيان طلبة العلم بإكمال دراسة ما تبقّى من مجادلات أرمين دراسةً نقديّةً، والردّ على الشّبهات الإلحاديّة الواردة فيها، بالتّوسع في دراسة المذهب الإلحاديّ، والردّ على شبهاته، وعدم الاكتفاء بما هو موجودٌ من دراساتٍ، وردودٍ.

الكلمات المفتاحيّة: الإلحاد، ناوابي، الشُبَه الأخلاقية.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

شهد العالم اليوم العديد من التطورات في مختلف المجالات الاقتصادية والعلمية والفكرية، وغيرها وتحديدًا بعد قيام الثورة الصناعية وظهور الآلات، ونتيجةً لهذا التطور الذي شهده العالم، فقد ظهرت العديد من التيارات أو الاتجاهات الفكرية.

ومن هذه التيارات التيار الإلحادي، ومع أنّ الإلحاد ليس وليد العصر بالمطلق، حيث إن له جذورًا تاريخية قديمةً، وممتدةً إلا أنه لم يكن بهذا الحجم والانتشار والقوة التي نعرفها الآن في عصرنا الحاضر، فالإلحاد اليوم غدا قوةً عظيمةً واسعة الانتشار في كثيرٍ من بلدان العالم تقريبًا.

وقد تبنّى هذا الفكر الإلحادي العديد من المعاصرين، حتى كان من هؤلاء من كان مسلماً ثم ارتد مثل أرمين ناوابي – وهو إيراني الأصل– حيث ألّف كتابًا للدفاع عن الإلحاد ودحض شبهات المؤمنين بزعمه بعنوان (لماذا ليس هنالك إله: أجوبةٌ مبسّطةٌ لأشهر عشرين ادّعاءً يزعم وجود الله)، وهو كتاب صغير مؤلّف من ثلاثٍ وثمانين صفحة يرد فيه الكاتب أرمين على عشرين مجادلةٍ منطقيّةٍ ساقها؛ لإثبات عدم وجود الله تضمّنت العديد من الشّبهات الإلحاديّة الماكرة.

وجاءت هذه الدراسة لدراسة الشبهة الرابعة ومناقشة أدلته المختلفة التي ذكرها، وذلك بأسلوب مبسّطٍ، وعلميٍّ موضوعيٍّ، بنفس لغة العلم والمنطق التي استخدمها.

أهمية الدراسة:

تبرز أهمية الدراسة بما يلي:

١- تعدّ الدراسة إضافةً علميةً جديدةً إلى المكتبة الإسلامية العامة يرجع إليها الباحثون لإعانتهم في الرد على الملحدين، وشبهاتهم، وأبرز المواضيع التي يطرحونها، والتصدي لهم علميًّا، وفكريًّا.

٢- الدِّفاع عن عقيدة ثبوت وجود الله، وإزاحة الشكوك والشبهات في نفوس معتنقيها.

مشكلة الدراسة:

تتجلى مشكلة الدراسة بسؤالها الرئيس: ما الرد على شبهات أرمين ناوابي في مجادلته "أصل الأخلاق من الله، وبدون الله سنصبح بشرًا سيّئين؟" ويتفرع عنه الأسئلة الآتية:

١- ما الردّ على شبهة أرمين أن: الأديان تحرّض على العنف؟

٢- ما الردّ على شبهة أرمين: إذا كان الله مصدر الأخلاق، فإنّها لن تتغيّر بمرور الزّمان، والمكان؟

٣- ما الرد على شبهة أرمين فيما يتعلق بمعضلة يوثيفرو؟

٤- ما الردّ على شبهة أرمين: الله إمّا أن يكون ضعيفًا، أو سيّئًا، أو غير موجودٍ من الأساس؟

٥- ما الرد على شبهة أرمين عن الخلود في الجحيم، أو العذاب اللانهائيّ لغير المؤمن؟

٦- ما الرد على شبهة أرمين فيما يتعلق بتأثير البيئة، والمجتمع على عقيدة الإنسان؟

٧- ما الرد على شبهة أرمين في فكرة: المعيار المزدوج في فكرة وجود إلهٍ محدّدٍ؟

٨- ما الرد على شبهة أرمين في موضوع التّفسير العلميّ للأخلاق؟

أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة إلى تحقيق ما يأتي:

١- الردّ على شبهة أرمين أن: الأديان تحرّض على العنف.

٢- الردّ على شبهة أرمين: إذا كان الله مصدر الأخلاق، فإنّها لن تتغيّر بمرور الزّمان، والمكان.

٣- الرد على شبهة أرمين فيما يتعلق بمعضلة يوثيفرو.

٤- الردّ على شبهة أرمين: الله إمّا أن يكون ضعيفًا، أو سيّئًا، أو غير موجودٍ من الأساس.

٥- الرد على شبهة أرمين عن الخلود في الجحيم، أو العذاب اللانهائيّ لغير المؤمن.

٦- الرد على شبهة أرمين فيما يتعلق بتأثير البيئة، والمجتمع على عقيدة الإنسان.

٧- الرد على شبهة أرمين في فكرة: المعيار المزدوج في فكرة وجود إلهٍ محدّد.

٨- الرد على شبهة أرمين في موضوع التّفسير العلميّ للأخلاق.

حدود الدراسة:

تقتصر الدراسة على الشبهة الرابعة من كتاب لماذا ليس هناك إله لأرمين ناوابي وعنوانها "أصل الأخلاق من الله، وبدون الله سنصبح بشرًا سيّئين" وذلك بدراستها ومناقشتها والرد عليها.

منهج الدراسة

سلك الباحثان في دراستهما مناهج البحث الآتية:

١- المنهج الاستقرائيّ: الذي يقوم على استقراء كل ما يتعلق بالمجادلة الرابعة، والشّبهات التي أثارها حولها ودراستها من كتاب (لماذا ليس هنالك إله) لأرمين ناوابي.

٢- المنهج النقدي: وذلك من خلال نقد هذه الأسس، والحجج، والدّلائل التي استند عليها أرمين ناوابي من خلال القرآن الكريم، والسنة النّبوية، وآراء العلماء المسلمين، والعلم والمنطق.

الدراسات السابقة:

بعد البحث في المكتبة الإسلامية تم الوقوف على مجموعة من الدراسات ذات الصلة بالموضوع لكنها لا تتقاطع مع هذه الدراسة وسوف أشير إليها:

١- دراسة بعنوان لماذا ليس هناك إله لأرمين ناوابي – عرض ونقد لمؤلفه رشيد السراي حيث ناقش هذه المسألة بإيجاز شديد.

٢- دراسة باللغة الإنجليزية بعنوان: Armin navabi the poison pill of islam by Seth Anderws للباحث شيث أندروز وموضوع البحث عن أرمين ناوابي حبة السم في الإسلام.

٣- دراسة أخرى باللغة الإنجليزية بعنوان: Atheist Armin navabi creats sexy hindu للباحث هولي شيخر وموضوع البحث عن الملحد أرمين ناوابي يبدع هندوسيا.

خطة البحث:

اشتملت الدراسة على مقدمة ومبحثين وخاتمة.

أما المقدمة، فقد تضمنت مشكلة الدراسة وأسئلتها وأهدافها وحدودها ومنهجها وخطتها.

وأما المبحثان فهما:

المبحث الأول: التّعريف بأرمين ناوابي، وكتابه: (لماذا ليس هنالك إله).

المطلب الأوّل: التّعريف بأرمين ناوابي.

المطلب الثّاني: التّعريف بكتاب: لماذا ليس هنالك إله.

المبحث الثاني: حقيقة أصل الأخلاق والرد على شبهات أرمين ناوابي.

المطلب الأول: تعريف الأخلاق، وأصلها.

المطلب الثّاني: الرد على شبهة أرمين: الأديان تحرّض على العنف.

المطلب الثّالث: الردّ على شبهة أرمين: إذا كان الله مصدر الأخلاق، فإنّها لن تتغيّر بمرور الزّمان، والمكان.

المطلب الرّابع: الرد على شبهة أرمين: فيما يتعلق بمعضلة يوثيفرو.

المطلب الخامس: الردّ على شبهة أرمين: الله إمّا أن يكون ضعيفًا، أو سيّئًا، أو غير موجودٍ من الأساس.

المطلب السّادس: الرد على شبهة أرمين:عن الخلود في الجحيم، أو العذاب اللانهائيّ لغير المؤمن.

المطلب السّابع: الرد على شبهة أرمين: تأثير البيئة، والمجتمع على عقيدة الإنسان.

المطلب الثّامن: الرد على شبهة أرمين: المعيار المزدوج في فكرة وجود إلهٍ محدّدٍ.

المطلب التّاسع: الرد على شبهة أرمين: التّفسير العلميّ للأخلاق.

وأما الخاتمة، فقد تضمنت أبرز النتائج والتوصيات.

المبحث الأول:
التعريف بأرمين ناوابي، وكتابه: (لماذا ليس هنالك إله).

المطلب الأول: التعريف بأرمين ناوابي.

أرمين ناوابي: إيرانيّ الأصل، وحاملٌ للجنسيّة الكنديّة، ويعيش حاليًا في كندا، مسلمٌ شيعي سابقٌ، وناشطٌ، ومدوّنٌ على شبكة الإنترنت، كما أنّه مؤسس منظّمة الجمهوريّة الملحدة عام ٢٠١٢م، وهي من أكبر التّجمعات الإلكترونيّة للملحدين على الشبكة العنكبوتيّة، ولديها العديد من الفروع في كثيرٍ من بلدان العالم، كأندونيسيا، وماليزيا[١].

وُلِدَ أرمين عام ١٩٨٣ للميلاد في مدينة طهران لأسرةٍ مسلمةٍ شيعيّةٍ، وتمّت تنشئته كمسلمٍ شيعيٍّ، لم تكن أسرته متديّنةً بشكلٍ كبيرٍ، وقد تلقّى معظم تعليمه، وأفكاره الإسلاميّة من مدرسته[٢]، وقد حاول الانتحار، وهو طفلٌ صغيرٌ في عمر الثانية عشرة؛ لأنّه سمع أحد معلّميه يقول: إنّ من ينتحر، أو يرتكب ذنبًا قبل سنّ البلوغ لا يحاسب على ذلك، ويدخل الجنّة، فهو أقدم على الانتحار؛ لأنّه أراد دخول الجنّة مباشرةً بدون انتظارٍ طويلٍ[٣].

ونرى أنّ إقدام أرمين على الانتحار، وهو طفلٌ صغيرٌ سلوكٌ غير طبيعيٍّ، وأنّه ربّما كان إشارةً إلى اضطرابٍ نفسيٍّ عانى منه في طفولته. وقد لا يكون الأمر كذلك، بل لعلّه كان مجرّد بدايةٍ لدوّامة الأفكار، والصراعات عند أرمين، والتي مهدّت له طريق الشكّ بالله تعالى، والشكّ بصحة الدّين الإسلاميّ.

وقد باءت محاولة أرمين للانتحار بالفشل؛ إذ تمَّ إنقاذه، وإسعافه، وبقي بعدها مُقعَدًا لمدّة سبعة أشهرٍ جراء الإصابات التي ألمّت به، وبعد أن شُفِيَ أصابه اليأس، والخوف، والحزن، ثمّ أصبح إثر ذلك أشدّ تزمّتًا، وتمسّكًا بتعاليم الدّين، وأكثر دراسةً له[٤].

ونرى أنّ التّطرف عند أرمين يعد من الأسباب التي دفعته للإلحاد؛ لأنّ التّشدّد، أو التّطرف قد يدفع بصاحبه إلى الرّغبة في الانفراد، ومخالفة بقيّة النّاس، والشكّ بمعتقداتهم، وهذه سمات الشخصيّة الشكيّة، أو الارتيابيّة[٥]، والتي قد تدفع صاحبها للإلحاد، والتّطرّف فيه، ولكنّها في المقابل قد تؤدّي به إلى العكس تمامًا أي التّطرف، والتّشدّد الدّينيّ، وليس الإلحاد[٦].

قد تكون شخصيّة أرمين حقًّا من النّوع الشكيّ المرتاب، التي تدفع بصاحبها للشكّ المستمرّ في كلّ شيءٍ، والتّطرف والتشدّد في إحدى المجالات كالتّديّن، أو الإلحاد، وذلك بناءً على سيرته السّابقة، ولكنّي لا أجزم بذلك، فالأمر لا يعدو أن يكون مجرّد ظنٍّ، أو تخمين.

وهذا يؤكّد أثر العامل النّفسيّ في إلحاد كثيرٍ من النّاس، فمع أنّ الإلحاد، وترك الإسلام كان اختيارًا شخصيًّا مبنيًّا على حريّة الإرادة من قِبَلِ أرمين في النّهاية إلّا أنّ الظروف النّفسيّة، والتّغيّرات الفكريّة التي عاشها قد شجّعته على ترك الإسلام، وتبنّي الإلحاد، فقد كان متعصّبًا متزمّتًا في الأساس، وربّما كانت لديه مشاكل، أو اضطراباتٍ نفسيّةٍ؛ إذ إنّه من النّادر أن يُقدِم طفلٌ صغيرٌ على الانتحار؛ لكي يدخل الجنّة، ولا يُحاسب على أعماله، ومن هنا بدأت مشكلة أرمين النّفسيّة، والتي امتدّت بعد أن ازدادت المشاعر السلبيّة لديه من اليأس، والحزن، والشكّ بعد محاولته الانتحار، ومع تعمّقه في البحث، والدّراسة، والتّساؤل، ووجود الكثير من الشكّ، والشبّهات لديه، والمعاناة النّفسيّة، والجسديّة التي مرّ بها، ورغبته المتأصّلة بتواصل الله بشكلٍ مباشرٍ معه بالوحي، أو التّكليم، والتي تجلّت بصلاته، ودعائه أن يتلقّى إجابةً من الله؛ ليعلم أنّه حقيقيٌّ، ورغبته السّريعة بدخول الجنة دون انتظارٍ للموت بشكلٍ طبيعيٍّ، بل بقتل نفسه ليدخلها، ويراها عيانًا، وتفريطه بحياته لهذا السّبب، وفشله في ذلك، وصلاته الأخيرة اليائسة أعلن أرمين إلحاده على الملأ، وتركه للدّين الإسلاميّ، وأنّه يتّبع المذهب الإلحاديّ اللاأدريّ الذي يشكّ في وجود الله تعالى من عدمه، ولا بد من الحديث عن سبب مهم أدى به إلى الإلحاد وهو عقائد الشيعة المنحرفة التي كان يتبناها ودورها في الإلحاد وخاصة أن أرمين ناوابي انفتح واتصل بالعالم الغربي.

المطلب الثاني: التعريف بكتاب: (لماذا ليس هنالك إله).

كتاب (لماذا ليس هنالك إله: أجوبةٌ مبسّطةٌ لأشهر عشرين ادّعاءً يزعم وجود الله) هو كتابٌ من تأليف أرمين ناوابي نشره في ٦ أكتوبر عام ٢٠١٤ للميلاد من خلال منظّمة جمهوريّة الملحدين الإلكترونيّة باللغة الإنجليزيّة[٧]، ثمّ تُرجِم هذا الكتاب إلى العربيّة بواسطة المترجم: عبد الله أحمد.

وقد ناقش أرمين في كتابه هذا عشرين مجادلةً، أو حجّةً طرحها المؤمنون لإثبات وجود الله تعالى؛ وذلك كي يثبت تهافت هذه الحجج، والمجادلات كما يدّعي، وذلك بشكلٍ مختصرٍ، وبسيطٍ مع توضيحٍ لكلّ الأمور، والنّقاط الموجودة في كلّ ادّعاءٍ، والردّ عليها[٨].

وقد قسّم أرمين كتابه هذا إلى عشرين فصلًا، ناقش في كلّ فصلٍ منه مجادلةً واحدةً يستدلّ بها بعض المؤمنين؛ لإثبات وجود الله تعالى، مع ردّه على أبرز الأفكار، والنّقاشات، والادّعاءات المتعلّقة بهذه المجادلات –حسب زعمه–، وقد تضمّنت مقدّمة هذا الكتاب تعريفًا به، وبمحتواه، وبمنظّمة الجمهوريّة الملحدة التي أسّسها أرمين على شبكة الإنترنت[٩].

وسنحاول –بعون الله، وتوفيقه– دراسة هذا الكتاب دراسةً نقديّةً، ومناقشة الشبهة الرابعة من مجادلاته، والردّ على أبرز الشّبهات الواردة فيها، فإننا سنحاول بقدر الإمكان الالتزام بالحياد، والموضوعيّة، والابتعاد عن التّعصّب، والسبّ، والشّتم في دراستي هذه؛ لأنّ غرضنا هو النّقد، وردّ الشّبهات، وليس التّعصّب، والإهانة، والشّتم؛ لأنّ كلّ ذلك لا فائدة له، ولا وزن في أيّ نقدٍ علميٍّ منطقيٍّ، بل يؤدّي إلى نتائج عكسيّةٍ، ووخيمةٍ.

المبحث الثاني:
حقيقة أصل الأخلاق والرد على شبهات أرمين ناوابي.

المطلب الأول: تعريف الأخلاق، وأصلها.

يبيّن أرمين أنّ كثيرًا النّاس يعد الدّين هو المصدر الأساسيّ للأخلاق(١٠). وقبل مناقشة موضوع علاقة الدّين بالأخلاق يجب علينا وضع تعريفٍ دقيقٍ للأخلاق:

مفهوم الأخلاق.

الخُلُق هو ميل الإنسان إلى نوعٍ معيّنٍ من أنواع السّلوك(١١)، وهذا يعني أنّ الأخلاق في الأصل هي نتاجٌ للأفعال، فالأفعال التي تتكرّر تصبح عاداتٍ، ومجموع كثيرٍ من العادات يُكوّن سلوكًا، ومن الأخلاق ما يكون طبيعيًّا وراثيًّا ناتجًا عن ميول الإنسان، وأفعاله الطّبيعيّة الوراثيّة(١٢)، ومنها ما يكون مكتسبًا من البيئة المحيطة بالمرء.

ونعود للإجابة عن التّساؤل الذي طرحه أرمين: هل الدّين مصدر الأخلاق أو لا؟، فأقول: إنّ الإسلام يحتوي في منظومته على الكثير من الأوامر الأخلاقيّة، كالصّدق، وبرّ الوالدين، وأغلب هذه الأخلاق هي غريزيّة فطريّة تولد مع كلّ إنسانٍ، والقسم الآخر من الأخلاق الذي دعا إليه الإسلام هو مكتسبٌ اختياريٌّ، كالحلم، والصّبر، ويُعتبر الدّين مصدرًا أساسيًّا لهذا القسم من الأخلاق، فهو ليس فطريًّا غريزيًّا، كالأوّل بل هو اختياريٌّ مكتسبٌ.

ثمّ يُضيف أرمين –ما مفاده–: دائمًا ما يُنظَر للمتديّنين على أنّهم ذوو أخلاقٍ حسنةٍ، بينما يُنظر للملحدين على أنّهم في محلّ شكٍّ من النّاحية الأخلاقيّة، مع أنّه لا يوجد دليلٌ يُثبت أنّ الملحدين سيّئون، وغير جديرين بالثقّة أكثر من أيّ أشخاصٍ آخرين، في الحقيقة يوجد ملحدون جيّدون مثلما يوجد متديّنون جيّدون، ويوجد ملحدون سيّئون مثلما يوجد متديّنون سيّئون(١٣).

وفي كلام أرمين السّابق شيءٌ من الصّواب، فليس بالضّرورة أن يكون الملحد سيّئًا أخلاقيًّا، وأن يكون المؤمن جيّدًا أخلاقيًّا، ومع أنّ الإيمان بالله تعالى يزيد من الالتزام الخلقيّ لدى الأفراد؛ لأنّه يشكّل دافعًا قويًّا لديهم للالتزام بالأخلاق الحسنة؛ طمعًا في الثّواب الأخرويّ بالجنّة، والابتعاد عن الأخلاق السّيّئة؛ خوفًا من العقاب الأخرويّ بالنّار، إلّا أنّ إيمان فردٍ معيّنٍ لا يعني أنّه سيلتزم أخلاقيًّا، فكم رأينا من مؤمنٍ سيّء الأخلاق، وكم رأينا من ملحدٍ حَسَنَ الأخلاق، والعكس صحيحٌ كذلك، فكم رأينا من مؤمنٍ حسن الأخلاق، وكم رأينا من ملحدٍ سيّء الأخلاق.

وننبه على أنّ الحديث السّابق كان عن الأخلاق الغريزيّة الفطريّة التي تنشأ مع الإنسان منذ ولادته، كالتّعاطف، وحبّ العدل، والتي يشترك الملحد، وغيره في الإقرار بحسنها من النّاحية الأخلاقيّة، وبعض الأخلاق المكتسبة، كالتّعاطف، وحبّ العدل، وليس عن الأخلاق المكتسبة بواسطة الدّين–تحديدًا–، كالصّبر، والعفو عند المقدرة.

المطلب الثاني: الرد على شبهة أرمين: الأديان تحرّض على العنف.

يدّعي أرمين أنّ الأديان تحرّض على العنف بقوله: "الأديان تحرّض على العنف لكن هذا لا يعني أنّه توجد علاقةٌ مباشرةٌ بين الدّين، والعنف، ومع ذلك فإنّ هذا يناقض فكرة أنّ الأخلاق من عند الله"(١٤).

في البداية نتفق مع أرمين في قوله بعدم وجود علاقةٍ مباشرةٍ بين الدّين، والعنف؛ لأنّ العلاقة بينهما تكون مرهونةً بتدخّل الإنسان بشكلٍ فرديٍّ، أو جماعيٍّ؛ ليقوم بدورٍ فاعلٍ بتنشيط هذه العلاقة، أو الطّعن فيها(١٥)؛ لأنّه هو نفسه من يقوم بأفعال العنف متحجّجًا بحججٍ دينيّةٍ من أجل إضفاء السّمة الشرعيّة على العنف، وتوسيع نطاقه(١٦).

وهذا يشبه ما يقوم به بعض الإرهابيين المنتمين لعصابات إرهابية من أعمال قتلٍ، وعنفٍ، واغتصابٍ من خلال استدلالهم بنصوص دينية تبرر لهم إجرامهم.

وبالنّسبة لادّعاء أرمين أنّ الدّين يُحرّض على العنف، فهو ادّعاء مجانبٌ للصّواب –إن أُخِذَ على إطلاقه–، والواقع أنّ فيه تفصيلًا، فلنبدأ أولًا بالتّنبيه على أنّ الفكرة القائلة أنّ الدّين يشجّع على العنف هي فكرةٌ رائجةٌ في المجتمعات الغربيّة أكثر منها في العربيّة(١٧)؛ لأسبابٍ عديدةٍ أبرزها الظّلم، والعنف الذي مارسته الكنيسة في العصور الماضية على النّاس عمومًا، وعلى العلماء خصوصًا.

وهناك أمرٌ مهمٌّ آخر يجب التّنبيه عليه هو تحديد ماهيّة العنف الذي ادّعى أرمين أنّ الدّين يُحرّض عليه؛ وذلك لأن وضع تعريفٍ لمصطلح العنف يعدّ أمرًا في غاية الصّعوبة؛ لأنّه مصطلحٌ واسعٌ متشعّبٌ كثير الأركان، أو العناصر، ولا يشمل العنف الجسديّ فقط، بل يشمل كذلك أنواعًا أخرى عديدةً، كالعنف النّفسيّ، والعنف اللّفظي، والعنف الاجتماعيّ(١٨).

فعندما يدّعي أرمين أنّ الدّين يحرّض على العنف عليه أن يوضّح قصده من العنف، فإذا كان يقصد بالعنف أعمال القتل، والاضطهاد، والظّلم للأبرياء، والمخالفين في المعتقد، فإنّ الدّين الإسلاميّ يُحرّم هذه الأفعال، ويستهجنها، ونرى أنّ هذا العنف المحرّم المنكَر في الدّين الإسلاميّ يصحّ تسميته بالعنف المطلق، أو غير الموجّه، أو غير المبرّر بمبرّراتٍ منطقيّةٍ، ولكنّ المسلمين لا يدّعون أنّ دينهم لا يحتوي على بعض الأحكام، والحدود، والعقوبات التي قد يسميّها كثيرٌ من الملحدين عنفًا، بينما هي في الواقع بمثابة عقوباتٍ رادعةٍ لمن يستحقّها.

فالمعتدون على المسلمين، أو غيرهم بالقتل، أو شتّى أنواع العنف لا يمكن إيقاف اعتدائهم، بالسّلم، والخطابات الرّنّانة، بل لا بدّ من اللجوء لنوعٍ من العنف الدّفاعيّ؛ لردّ عدوانهم، ودفع ضررهم عن النّاس، وإلا نتج عن عدوانهم أضرارٌ جسيمةٌ تفوق ما ينتج عن استخدام العنف ضدّهم لردّ عدوانهم.

وبالنّسبة للحدود، والعقوبات في الدّين الإسلاميّ، فهي بمثابة نظامٍ شاملٍ هدفه الحفاظ على تماسك المجتمع، وتآلفه، ومنع انتشار ما يفسده، فحدّ الزنا يهدف لمنع انتشار الزّنا بين النّاس، وبالتّالي منع الأضرار النّاتجة عنه من العزوف عن الزّواج، وتفكّك الأسر، والمجتمعات.

أمّا بالنّسبة لشبهات الملحدين، وغيرهم حول بعض النّصوص القرآنية التي تأمر ببعض أشكال العنف، والقتل للكافرين، والمشركين، كقوله –تعالى–: ﴿**قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ**

دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[٢٩: التّوبة]، وقوله: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾**[١٢٣: التّوبة]، فنقول: إنّ الملحدين يتعمّدون انتقاء هذه النّصوص دون غيرها، ثمّ يجتزؤنها، ويخرجونها عن سياقها الذي جاءت فيه، أو يُحرّفونها عن معناها الأصليّ، فتصبح بهذا كأنّها نصوصٌ أخرى مختلفةٌ، وهم بهذا يرتكبون مغالطةً منطقيّةً تسمّى (مغالطة الاجتزاء من السّياق)[١٩].

وهم عندما يرتكبون هذه المغالطة فإنّهم يعاملون كل آيةٍ قرآنيّةٍ أو حديثٍ على أنّه نصٌّ منفصلٌ عمّا قبله، وعمّا بعده، وعن الظّروف التّاريخيّة التي أحاطت به زمن نزوله، فالآيات، والسّور التي تحدّثت عن القتال نزلت بعد حروب، وغزواتٍ أو أثناءها، أو تحدّثت عن نتائج بعض المعارك[٢٠].

فالإسلام ليس دينًا يؤمن (بمذهب اللّاعنف لغاندي)[٢١]، فهو يدعو لقتال المعتدين المحاربين، ودرء اعتدائهم، ولكنّ القتال فيه مقنّنٌ بضوابط منها: إيقاف القتال عند إنهاء الطّرف الآخر لاعتدائه، أو رغبته في إبرام الصّلح، والسّلام[٢٢]، قال ﷻ: **﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾**[٦١: الأنفال]، وقال: **﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾**[٩٠: النساء].

المطلب الثالث: الرد على شبهة أرمين: إذا كان الله مصدر الأخلاق، فأنها لن تتغير بمرور الزمان، والمكان.

يدّعي أرمين أنّ كثيرًا ممّا ورد في الكتب، والنّصوص الدّينيّة لا يتناسب مع عصرنا الحاليّ؛ لأنّ النّصوص الدّينيّة عبارةٌ عن كتاباتٍ عتيقةٍ تعكس القيم التي سادت في فترة كتابتها، ولا تتناسب مع عصرنا الحاليّ، ثمّ ضرب أمثلةً على ذلك: بالعبوديّة، وعقوبة الإعدام الواردتين في الإنجيل، وعقوبة قتل المرتدّ الواردة في حديثٍ نبويٍّ صحيحٍ، وبضرب الزّوجات عند نشوزهنّ الوارد في آية قرآنية، ثمّ قال إنّ هذه العادات، والعقوبات المذكورة في نصوصٍ دينيّةٍ يقدّسها المؤمنون قد تكون متوافقةً مع أخلاق، وثقافات، وأزمنة مؤلّفيها، لكنّ هذا لا يجعلها مقبولةً في زماننا هذا[٢٣].

وادّعاء أرمين بأنّ عدم صلاحيّة كلّ ما ورد في النّصوص الدّينيّة الإسلاميّة للتّطبيق في كلّ زمانٍ ومكانٍ هو ادّعاءٌ مبنيٌّ على افتراضٍ خاطئٍ؛ لأنّ نصوص الإسلام صالحةٌ لكلّ زمانٍ، ومكانٍ، قال ﷻ: **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾**[٣: المائدة].

ويقع في وهم كون الشّريعة الإسلاميّة غير صالحةٍ لكلّ زمانٍ، ومكانٍ عددٌ لا بأس به من المسلمين، مع أنّ التّأمّل في نصوص الشّريعة يقود للإقرار بأنّها لم تتضمّن إلّا أحكامًا قابلةً للتّطبيق في كلّ زمانٍ، ومكانٍ، وقائمةً على حفظ مصالح النّاس، ودرء المفاسد عنهم، كحدّ الزّنا، وحدّ السّرقة[٢٤].

كما أنّ التّشريع الإسلاميّ يعتمد في كثيرٍ من أحكامه على الاجتهاد، والقياس على مصدري التّشريع الأساسيّين: القرآن، والسّنّة، كالاجتهاد في حكم قيادة المرأة للسيّارة، وتحريم المخدّرات قياسًا على تحريم الخمر لوجود علّة مشتركةٍ بينهما هي إذهاب العقل، ووقوع الضّرر على الفرد نفسه، والمجتمع بأسره[٢٥].

وبالنّسبة لموضوع العبوديّة في الإسلام، فقد أمر الإسلام بالإحسان إلى العبيد في كثيرٍ من نصوصه كقوله ﷻ: **﴿وَاعْبُدُواْ**

اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾[٣٦: النساء].

إلا أنّ الإسلام لم يكتفِ بالأمر بالإحسان إلى العبيد، بل عمل على التّحرير الكامل لهؤلاء العبيد بوسائل رئيسة هي: العتق والكفّارة، والمكاتبة لأنّ من قواعده العامّة التي يقوم عليها: المساواة الكاملة بين البشر(٢٦).

فالإسلام لم يجعل العبوديّة أصلاً من أصوله، والدّليل على ذلك أنّه سعى للتّخلّص من هذه العبودية بتجفيف جميع منابعها عدا منبعًا واحدًا هو عبوديّة الحرب المعلنة للجهاد في سبيل الله تعالى، فقد كان العرف السّائد بين النّاس قديمًا هو استعباد الأسرى، أو قتلهم، وهذا يعني أنّ أعداء المسلمين كانوا يستعبدون الأسرى من المسلمين، وكما نعلم فإنّ المعاملة بالمثل هي أعدل القوانين، إذ لم يكن من المعقول أن يُحرّم الإسلام استعباد أسرى الحرب من أعداء المسلمين، بينما يقوم غير المسلمين باستعباد أسراهم من المسلمين(٢٧).

وفي حالة قامت إحدى الدّول بإرجاع نظام استعباد الأسرى من خلال قيامها باستعباد الأسرى من المسلمين، فإنّه لا ضير من قيام الدّول الإسلاميّة باستعباد أسراها؛ عملًا بمبدأ المعاملة بالمثل.

وكثيرٌ منّا يعلم أنّ العبوديّة أمرٌ غير صالحٍ لزماننا الحاليّ، على الرّغم من أنّها كانت تُعتبر أمرًا مقبولًا، وقائمًا في الماضي، وقد كانت هناك العديد من المبرّرات لعدم تحريمها المباشر في الإسلام، من أبرزها: أنّ نظام العبوديّة كان مرتبطًا بالنّظام الاقتصاديّ السّائد قديمًا، وجزءًا أساسيًّا منه، ومن أنماط الزّراعة، والرّعيّ، وكان إلغاؤه كليّةً، وبدون تدريجٍ زمنيٍّ سيسبّب أضرارًا جسيمةً على النّظام الاقتصاديّ، والزّراعيّ ككلٍّ؛ ممّا سيسبّب أضرارًا على المجتمعات، والدّول آنذاك، وهذا يعني أنّ إلغاء هذا النّظام بشكلٍ كاملٍ، ولمرّةٍ واحدةٍ كان مجرّد حلمٍ مثاليٍّ بعيدٍ عن الواقع(٢٨).

ونستنتج ممّا سبق أنّ الإسلام صالحٌ لكلّ زمانٍ، ومكانٍ، وأنّه حرّم العبوديّة، ولكنّ ذلك حدث بالتّدريج، والأسباب التي دفعت الإسلام لعدم تحريم العبوديّة بشكلٍ مباشرٍ عديدةٌ، ومن أبرزها: أنّ تحريم العبوديّة، وإيقاف العمل بها دفعةً واحدةً بدون تدريج كان سيترتّب عليه الكثير من الأضرار الاقتصاديّة، والاجتماعيّة، والتي كانت ستفوق محاسن هذا التّحريم؛ ممّا سيترتّب عليه انهيار المجتمع، وفقدان تماسكه.

إذن ادّعاء أرمين بأنّه: إذا كان الله مصدر الأخلاق، فإنّها لن تتغيّر بمرور الزّمان، والمكان فهو ادّعاءٌ مُجانبٌ للصّواب؛ لأنّ هناك من الأخلاق ما هو مطلقٌ ثابتٌ لا يتغيّر بمرور الزمان كالأمر بالعدل والصّدق وبرّ الوالدين وصلة ذوي القربى والنّهي عن الظّلم والكذب والجور والنّفاق والسّرقة والغش وغير ذلك الكثير فهذه الأخلاق ثابتة لا تتغيّر بتغيّر الزّمان وقد جاء بها جميع الأنبياء والرّسل وجاءت في جميع الشّرائع السماوية من قبل النبي محمّد –صلّى الله عليه وسلّم– والإسلام، ولكن في المُقابل هناك أخلاق نسبيّة متغيّرة تتغيّر مع مرور الأزمان وعلى اختلاف الشّرائع مثل موضوع العبودية الذي طرحه أرمين–الذي سبق الردّ عليه، فهذا يتغيّر مع تغيّر العصور والأزمان فالعبودية التي كانت مقبولةً سابقًا أصبحت اليوم من الأمور غير المقبولة وإن لم يرد نصٌّ مباشرٌ في تحريمها في الإسلام ولكن الشّارع الحكيم –سبحانه– ترك أمرها للمكلّفين بما يتناسب مع طبيعة العصر الذي يعيشون فيه فقد اتّفقت جميع الدّول اليوم على إنهاء العبودية وإيقاف العمل

بها والمسلمون يعملون بهذا كذلك وهذا واجبٌ عليهم ولكن سابقًا في عصر الوحي وما بعده لم يكن هناك اتّفاقٌ بين الدّول والقبائل على إنهاء العبودية، وكانت كلّ الأمم والشّعوب والقبائل المنتصرة تستعبد خصومها المهزومين؛ لذا لم يُحرّم الإسلام العبودية الرقّ وملك اليمين بشكلٍ قاطع بل ترك أمرها للمكلّفين بما يتناسب مع عصرهم الذي يعيشون فيه وحرص على تجفيف منابعها والحرص على عتق العبيد وجعل هذا كفّارةً للكثير من الذّنوب كالظّهار والقتل الخطأ.

كما أنّ تحرير الرقيق والعبيد وإلغاء نظام العبودية في عصرنا الحاضر والذي قامت به أمريكا وأوروبا صادقت عليه كلّ دول وشعوب العالم الأخرى لم يأتِ شفقةً بهؤلاء العبيد وحرصًا على تحريرهم أو عطفًا عليهم وإنّما جاء نتيجةً لضرورات اقتصادية وتحايلًا من هؤلاء مدّعي الحريّة والتحرير، ومنعًا للمنافسة التجارية التي تُتِيح لأصحاب العبيد أرباحًا ومُستحقّات لا تتوفّر لمن يُشغِّل عنده الأحرار، وحتّى بعد تحرير هؤلاء العبيد لا تزال معاملتهم –خاصّةً السود في أمريكا والعمّال الأفارقة– معاملةً سيئة وغير إنسانية ومليئة بالعنصريّة والتّمييز[٢٩].

والمثال الآخر الذي ذكره أرمين على ما يدّعي أنّه غير صالحٍ لكلّ زمانٍ، ومكانٍ في النّصوص الدّينيّة هو عقوبة الإعدام التي كانت سائدةً بين المسيحيين، والتي ذُكِرت في العهد القديم من الكتاب المقدّس؛ لتكفير الذّنوب، كالزّنا، وعقوق الوالدين[٣٠].

ونؤكد على أنّ دفاع المسلمين عن القرآن ضدّ الشّبهات المثارة حوله هو أمرٌ طبيعيٌّ، فكلّ البشر يدافعون عن معتقداتهم، وأفكارهم التي يتبنّونها سواءً كانت دينيّةً، أو غير دينيّةٍ.

لذا فمن الضروريّ أن تكون الرّدود على مثل هذه الشّبهات بإعطاء معانٍ، وتبريراتٍ سليمةٍ متوافقةٍ مع سياق النّصوص التي أُثيرت حولها هذه الشّبهات، وكلّ من يثير هذه الشّبهات من الملحدين، وغيرهم، أو يردّ عليها ردًّا متكلّفًا خارجًا عن السّياق من المسلمين يقع في مغالطة الاجتزاء –السّابق ذكرها–، والتي يقوم مرتكبها باقتطاع النّصوص، واجتزائها عن سياقها الذي جاءت فيه، أو تحريف معانيها الأصليّة.

ثمّ يدّعي أرمين ادّعاءً مفاده أنّ الكثير من المسلمين لا يحتاجون إلى تفسيراتٍ أخرى لآيات القرآن التي تحثّ على أيّ شيءٍ إيجابيٍّ، كالزّكاة، والحبّ، والتّسامح، لكنّهم يحتاجون، ويطلبون تفسيراتٍ بشريّةٍ للآيات التي لا تتناسب مع أهوائهم، وبهذا المنطق سيكون من المريح الإيمان بذلك، ولكن من الصّعب الدّفاع عنه [٣١].

وادّعاء أرمين هذا خاطئٌ من الأساس؛ فالآيات التي تتحدّث عن أمورٍ إيجابيّةٍ، كالزّكاة، والعفو، وصلة الأرحام، أو التي سمّاها الله تعالى الآيات المحكمات كثيرًا ما يحتاج المسلمون لتفسيراتٍ لها على الرّغم من سهولتها، ووضوح معانيها؛ وذلك لأمر الله لهم بالمزيد من التّمعن، والتدّبر فيها، وفي غيرها من الآيات كذلك، قال ﷻ: **﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾**[٢٤: محمد].

والملحدون الذين يدّعون أنّ المسلمين يرقّعون، ويبرّرون؛ ليخففوا التّناقضات، والعيوب التي يدّعي هؤلاء الملحدون وجودها في نصوص القرآن، نقول لهم إنّهم يفعلون نفس الشّيء التّرقيع، والتّبرير في نقاشاتهم مع المسلمين[٣٢]؛ فكلٌّ يدافع عن أفكاره، ومعتقداته، وما يسمّيه الملحدون ترقيعًا، وتبريرًا نسمّيه نحن المسلمين اجتهادًا، وتفسيرًا نلتمس به الدّفاع عن

صحّة ديننا الإسلامي، ودفع الشّبهات عن نصوصه، ولهم كامل الخيار في عدم القبول به، فحرّيّة المعتقد، والفكر هو من أساسيّات ديننا.

المطلب الرابع: الرد على شبهة أرمين: فيما يتعلق بمعضلة يوثيفرو.

تطرّق أرمين للحديث عن معضلةٍ أخلاقيّةٍ تسمّى معضلة يوثيفرو، وهي مبنيّةٌ على حوارٍ أجراه الفيلسوف اليونانيّ سقراط مع شخصٍ اسمه يوثيفرو وقد أورد هذا الحوار الفيلسوف اليونانيّ أفلاطون في إحدى كتبه، وتدور أحداث هذا الحوار حول طلب يوثيفرو من سقراط إعطاء تعريفٍ واضحٍ للأخلاق إن كانت مبنيّةً على وجود الله[٣٣]، ثمّ التّساؤل التّالي الذي طرحه سقراط والذي بُنيت على أساسه هذه المعضلة: هل يعدّ الخير خيرًا لأن الله اختاره، أم أن الله اختاره؛ لأنّه خير؟[٣٤].

بمعنىً آخر هل ما هو جيّدٌ أخلاقيًّا، وصالحٌ أمر الله به؛ لأنّه كذلك، أو أنّه جيّدٌ أخلاقيًّا، وصالحٌ من الأساس؛ لذا أمر الله به؟[٣٥]، أو بصيغٍ أخرى: "هل الأوامر الأخلاقيّة التي أمر الله بها، كالعدل، والوفاء هي خيّرةٌ في ذاتها، أو أنّها اكتسبت طبيعتها الخيّرة؛ لأنّها من الله؟"[٣٦].

ويدّعي أرمين معتمدًا على هذه المعضلة أنّ الأخلاق إذا كانت موجودةً، ومنفصلةً عن إرادة الله، فلا يوجد أي مبرّرٍ للاعتماد على الله من أجل تحديد السّلوك الأخلاقيّ، إذ يمكن لأيّ شخصٍ أن يصنع معايير أخلاقيّةً بدون أن يرجع إلى الله في ذلك[٣٧].

ثمّ يدّعي أنّه لو افترضنا أنّ الله أصل الأخلاق، وأنّه من يحدّد إذا كان شيءٌ ما أخلاقيًّا، وأخر غير أخلاقيّ، فإنّه لا يمكن اعتبار مثل هذه الأوامر الصّادرة عن الله أخلاقًا؛ لأنّها مجرّد أفعالٍ تعسّفيّةٍ، ونزواتٍ إلهيّة يقوم البشر باتّباعها بشكلٍ أعمى دون التّفكير فيها[٣٨].

والحقيقة أنّ هذه المعضلة مكوّنة من سؤالٍ من جزأين، وسواءٌ أجبنا على الجزء الأوّل من هذا السّؤال، أو الجزء الثّاني منه، فإنّ جوابنا في كلتا الحالتين سيكون غير مرضٍ؛ لأنّ هذه المعضلة مبنيّةٌ في الأساس على مغالطةٍ منطقيّةٍ تسمّى: (مغالطة الحصار المخادع، أو المأزق المفتعل)، وفي هذه المغالطة يتمّ حصر الطّرف الآخر في الجّدل بخيارين اثنين أو أكثر، وإيهامه أنّه لا يمكن بناء حجّته إلّا بافتراض هذين الخيارين فقط دون غيرهما بصورةٍ ضيّقةٍ؛ تأييدًا لهدفٍ مخفيٍّ يبتغيه طارح هذه المعضلة مستبعدًا جميع الخيارات، والاحتمالات الأخرى التي قد تكون ضدّ أهدافه، ومزاعمه[٣٩].

فإذا سلّم الطّرف الآخر في الجدال بصحّة الشّطر الأوّل من السّؤال: أيّ أنّ الله يأمر بالأخلاق لأنّها جيّدةٌ، وخيّرةٌ في حدّ ذاتها، فهذا يؤدي إلى القول بأنّ الأخلاق هي كيانٌ مستقلٌّ بحدّ ذاته، أيّ أنّها مستقلّةٌ عن الله، منفصلةٌ عن إرادته، ووجودها ليس مبنيًّا على وجوده، وهذا سيؤدي إلى القول بأنّ الله محدود القدرة، وأنّ الأخلاق أزليّةٌ أكثر من الله في الوجود وليست من مخلوقاته، أي لن يكون الله –بناءً على ما سبق– خالقَ كلّ شيء، وسيكون بنفسه تابعًا لهذه الأخلاق خاضعًا لها، أي أنّها ستصبح فوق إرادته، وسيتّخذ منها مرجعيّةً لقراراته، وأحكامه، وهذا يتناقض مع صفتيّ القدرة، والعلم الكلّيّين لله، ويقودنا إلى القول بالاستغناء عن الله، وعدم الحاجة إليه في تحديد حَسَن الأخلاق من سيّئها[٤٠].

كما سيقودنا ذلك إلى أسئلةٍ أخرى كثيرةٍ منها: هل يعتبر العقل معيارًا لتحديد الخير، والشّر؟، وهل هناك معيارٌ، أو مفهومٌ للخير، والصّلاح حاكمٌ على تصرّفات الله؟ وإذا كان هناك وجودٌ لمثل هذا المعيار، أو المفهوم، كالعقل مثلًا، فما فائدة الأوامر الأخلاقيّة الدّينيّة إذن؟ وإذا لم يكن هناك وجودٌ لمثل هذا المعيار، أو المفهوم، فكيف بإمكاننا معرفة الدّين الصّحيح الذي سيقودنا إلى الخير، والصّلاح؟[٤١].

مثل هذا السّؤال: (هل الله يأمر بالأخلاق لأنّها جيّدةٌ، وخيّرةٌ في حدّ ذاتها؟) سيدخلنا في متاهةٍ مفرغةٍ في تعريف الأخلاق دون الوصول إلى جوابٍ منطقيٍّ، ومُرضٍ، وهذا شبيه بالسّؤال عمّن خلق الله، ومن خلق الذي خلقه، وهكذا[٤٢]، فكلا السّؤالين ليس لهما إجابةٌ؛ لأنّهما خاطئان منطقيًّا، وعقليًّا من الأساس.

أمّا إذا سلّم الطّرف الآخر في الجدل بصحّة الشّطر الثّاني من السّؤال: أيّ أنّ الأوامر الأخلاقية جيّدةٌ، وخيّرةٌ؛ لأنّ الله أمر بها، فإنّ الأخلاق ستصبح عندئذٍ مجرّد أمورٍ اعتباطيّةٍ خاليةٍ من المعنى، وستمتنع عن الله صفة الخير؛ لأنّه سيكون في هذه الحالة محدّدًا لطبيعة الأوامر الأخلاقيّة، ولو بالقوّة، وستصبح الأخلاق مجرّد أوامرٍ، ونواهٍ، بمعنى أنّ الأمر الذي يصدر عن الله سيصبح جيّدًا، وخيّرًا؛ لأنّه صدر عن الله فقط، فحتّى لو أمر الله بشيءٍ نعتبره غير جيّدٍ، أو غير خيّرٍ، كالسّرقة، وقتل الأبرياء، فإنّه يكون لِزامًا علينا أن ننظر إليه من زاوية الخير، وهذا سيساوي بين الخير، والشّر، وسيجعل منهما أمرين عشوائيّين اعتباطيّين، وبناءً على هذا فإنّ الفرق بين الجيّد أخلاقيًّا، والسّيّء أخلاقيًّا سيحدّده الله فقط، فلو أمر الله بشيءٍ نعده سيّئًا أخلاقيًّا، كالسّرقة، وقتل الأبرياء، فإنّنا ملزمون في هذه الحالة باعتباره جيّدًا أخلاقيًّا؛ لأنّه صدر عن الله[٤٣].

ونستنتج ممّا سبق أنّ الإجابة على أحد شطري السّؤال الذي تقوم عليه هذه المعضلة سيزيد الإشكال، ولن يؤدي للتوصّل لحلّ الإشكاليّة التي تسبّبت بها هذه المعضلة؛ لأنّ هذا السّؤال الذي بُنيت عليه هذه المعضلة سؤالٌ خاطئٌ من النّاحية المنطقيّة من الأساس؛ لذا وجب حلّ هذه المعضلة بطريقةٍ أخرى غير الإجابة عن السّؤال الذي طرحته.

ولحلّ الإشكاليّة التي سبّبتها هذه المعضلة نقول إنّ الله صالحٌ خيّرٌ في ذاته؛ لأنّ القول بعكس ذلك ينفي صفات الكمال عنه، ويُعتبر نقصًا في ذاته، وصفاته، وما دام الله خيّرًا صالحًا جيّدًا في ذاته، فهو لن يختار إلّا الخيّر الصّالح الجيّد؛ ليأمر به النّاس، وهذا يعني أنّ المبادئ الأخلاقيّة ليست شيئًا مستقلًّا، ومنفصلًا عن الله، بل هي انعكاسٌ لصفات الله المتكاملة، ومتجذّرةٌ فيها، وليست سابقةً عليها، وهذا يعني أنّ المبادئ الأخلاقيّة، كالرّحمة، والعدل لا تتبع من الأوامر الإلهيّة في حدّ ذاتها، بل هي من الله –تعالى– وجزءٌ لا يتجزّأ من صفاته؛ لذا يوصف الله بالرّحمن، والعادل، أيّ أنّ جميع المبادئ الأخلاقيّة تنشأ عمّا هو متأصّلٌ في الله –تعالى–، وفي صفاته –سبحانه–[٤٤].

ونوافق على هذا الحلّ للإشكالية التي طرحتها هذه المعضلة، فالله هو أصل الأخلاق، كالعدل، والرّحمة، وهي متأصّلةٌ فيه، غير منفصلةٍ عنه؛ لأنّه صالحٌ خيّرٌ في ذاته، وصفاته وما دام كذلك، فهو لن يختار إلّا ما هو صالحٌ خيّرٌ ليأمر به النّاس، أيّ أنّ الأخلاق لا تتبع من أوامر الله، ونواهيه في حدّ ذاتها، بل تتبع من الله –تعالى–، وصفاته الكاملة الصّالحة الخيّرة.

وبهذا يتبيّن خطأ ما ادّعاه أرمين من النّاحية المنطقيّة العقليّة، فالأخلاق ليست منفصلةً عن إرادة الله كمّا ادّعى، كمّا أنّها ليست أوامر تعسّفيةً اعتباطيّةً ليس لها معنى، بل هي صادرةٌ عمّا هو متجذّرٌ متأصّلٌ في الله تعالى، وصفاته.

المطلب الخامس: الردّ على شبهة أرمين: الله إمّا أن يكون ضعيفًا، أو سيّئًا، أو غير موجودٍ من الأساس.

يدّعي أرمين أنّ الشّرور الكثيرة الموجودة في العالم تتناقض مع ادّعاء المسلمين أنّ الله هو الإله الحقّ المحبّ للخير؛ ممّا يدل على أن الله: إمّا أن يكون ضعيفًا لا يمكنه فعل شيءٍ، أو سيّئًا قاسيًا لا يهتمّ لخلقه، أو أنّه غير موجودٍ من الأساس(٤٥).

وتعدّ هذه الشّبهة التي طرحها أرمين من أخطر شبهات الملحدين، وهي معروفةٌ باسم: (معضلة الشّرّ)، وقد دفعت هذه المعضلة كثيرًا من النّاس نحو الإلحاد، وتقوم هذه المعضلة على أنّ وجود الشرّ في العالم يتعارض مع وجود إلهٍ متّصفٍ بكمال العلم، والرّحمة، والقدرة؛ لأنّه لو كان متّصفًا بهذه الصّفات لمنع وجود الشرّ من الأساس(٤٦).

وتعدّ هذه الشّبهة التي طرحها أرمين متعلّقةً بما تبنّاه المعتزلة من قبل، فقد كانوا يرون أنّ الله لا يخلق الشّر بل الشرّ من فعل العباد فقط، والله لا يخلق إلّا الخير المحض وقد استدلّوا بالعديد من الأدلّة النقليّة والعقليّة وقد تصدّى العديد من العلماء للردّ عليهم وبيان بطلان استدلالاتهم قديمًا وحديثًا، ومن أبرز هؤلاء: شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه درء تعارض العقل مع النّقل الذي بيّن بطلان ما ذهبت له المعتزلة وأنّ الله خالق كلّ شيء بما في ذلك الشرّ والخير وهو خالق أفعال العباد خيرها وشرّها وهذا لا يتنافى مع عدل الله فالله يخلق الشرّ لكنّه لا يرضى لعباده الشرّ فإرادة الفعل من العبد ولكن الخلق من الله سبحانه وقد ذكر العديد من الأدلّة النقليّة والعقليّة للردّ على المعتزلة[٤٧].

ولا تنفي هذه المعضلة في الأساس وجود الله، لكنّها تُستخدم من قبل طارحيها؛ لنفي إحدى الصّفات الإلهيّة الثلاث، أو جميعها: العلم، والرّحمة، والقدرة، وليس لنفي وجود الإله الخالق لهذا الكون(٤٨).

وبهذا يتبيّن أنّ الاحتمال الثّالث الذي طرحه أرمين بناءً على هذه المعضلة: أنّ الله غير موجودٍ-ساقطٌ من الأساس؛ لأنّ هذه المعضلة لا تتطرقّ لموضوع نفي وجود الله تعالى، بل لنفي صفاته التي يتّصف بها.

ومن أسباب طرح الملحدين لمعضلة الشّر تصوّرهم لإلهٍ بصفاتٍ يحدّدونها هم مختلفٍ عن تصوّر المسلمين لهذا الإله؛ لذلك فهم يقدّمون صورةً قاصرةً، أو مجتزأةً، أو مشوّهةً عمّا يعتقده المسلمون في ذات الله تعالى، وصفاته، وهم يرتكبون بهذا مغالطةً منطقيّةً تسمّى (مغالطة الكاتالوغ المثاليّ)(٤٩)، فهم يضعون تصوّراتٍ ذهنيّةٍ خياليّةٍ غير حقيقيّةٍ للإله مختلفةٍ عن التّصوّر الكامل له الذي عبّر به عن نفسه حسب المنظور الإسلاميّ(٥٠).

فالملحدون يتصوّرون أنّ الله لا يفعل ما يتجاوز العقل، والحسّ البشريّين؛ لأنّهم يقيسون ذات الله سبحانه، وأفعاله مع ذات الإنسان، وأفعاله؛ ممّا يقتضي الاشتراك الكليّ بين الله، والإنسان في كلّ شيءٍ، كما أنّ الله ملزَمٌ عندهم بكشف جميع الحِكَمِ والغايات من أفعاله؛ ممّا يجعله فاقدًا للوازم الألوهيّة؛ بل فاقدًا للحريّة، والذاتيّة بمفهومهما البشريّ(٥١).

وهذه الصّورة الوهميّة القاصرة المشوّهة التي يتصوّرها الملحدون عن الله -تعالى- هي من أوقعهم في معضلة الشرّ، وجعلهم ينسبون صفات النّقص، أو العجز لله تعالى، ويُنكرون اتّصافه بكمال العلم، والرّحمة، والقدرة، وأؤكّد على أنّ قياس الله -تعالى- على مخلوقاته هو قياسٌ باطلٌ عقلًا؛ لأنّه قياسٌ مع الفارق؛ للضّرورة العقليّة التي تقتضي وجود تغايرٍ بين الخالق، والمخلوق، قال ﷻ: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[١١: الشورى]، وقال: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ**

الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[١- ٤: الإخلاص].

وقد تمّ طرح هذه المعضلة في الأساس؛ لنقاش التّصور المسيحيّ للإله، وصفاته[٥٢]، فالإله عند النّصارى يمثّل المحبّة المطلقة المحضة غير المشروطة لجميع الكائنات، وعلى هذا، فإنّ معضلة الشّرّ تشكّل تحدّيًا أساسًيا بالنّسبة لهم؛ إذ كيف يمكن أنّ يوجد شرّ في العالم، ولا يمنع وجوده مثل هذا الإله المتّصف بالمحبّة المطلقة المحضة؟![٥٣].

كما أنّ معضلة الشرّ تشكّل تحدّيًا بالنّسبة للتّصور اليهوديّ لله، وصفاته كذلك؛ لأنّ الله عند اليهود متّصفٌ بصفاتٍ سيّئةٍ قبيحةٍ تنفي عنه خصائص الألوهيّة، فقد ورد في التّوراة أنّه أمر بقتل الأطفال، والنّساء، وارتكاب مجازر جماعيّةٍ، كما ورد فيها اتّصافه بالظّلم، والعنصريّة للجنس اليهوديّ[٥٤].

ويشهد على ذلك العديد من نصوص العهد القديم نذكر منها: "فالآن اقتلوا كلّ ذكر من الأطفال، وكلّ امرأة عرفت رجلًا بمضاجعة ذكر اقتلوها"[٥٥] (العدد، ٣١: ١٧)، "وحرّموا كل ما في المدينة من رجلٍ، وامراةٍ من طفلٍ، وشيخٍ حتّى البقر، والغنم والحمير بحدّ السيف" (يشوع، ٦: ٢١) "واحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها..." (يشوع، ٦: ٢٤)[٥٦]، "أنتم أولادٌ للربّ إلهكم..." (التّثنية، ١٤: ١)، "لأنّك شعبٌ مقدّسٌ للربّ إلهك، وقد اختارك الربّ؛ لكي تكون له شعبًا خاصًّا فوق جميع الشعوب الذين على وجه الارض" (التّثنية، ١٤: ٢)[٥٧].

ولكن في المقابل لا تشكّل هذه المعضلة تحدّيًا كبيرًا للتّصوّر الإسلاميّ لله تعالى؛ لأنّ المسلمين لا يدّعون أنّ الله هو إله محبّةٍ مطلقةٍ محضةٍ غير مشروطةٍ لجميع الكائنات – كما يدّعي النّصارى، ولا ينسبون لله تعالى الأوامر، والأفعال السّيّئة، والشّريرة كما يفعل اليهود، لكنّهم ينسبون له صفتي العدل، والرّحمة[٥٨]، والمحبّة المشروطة لمن آمن به، والتزم أوامره، ونواهيه، والبغض للكافرين به، أو المتّصفين بالصّفات السّيّئة، كالظّلم، والاعتداء على الآخرين، قال ﷻ: **﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾**[٩٠: النحل]، وقال: **﴿اعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**[٩٨: المائدة]، وقال سبحانه في الحديث القدسيّ: "يا عبادي إنّي حرّمت الظّلم على نفسي، وجعلته بينكم محرّمًا، فلا تظالموا..."[٥٩].

ونستنتج ممّا سبق أنّ معضلة الشّر تشكّل تحدّيًا، ومشكلةً حقيقيّةً لكلٍّ من التّصوّر المسيحيّ للإله، وصفاته – الله متّصفٌ بالمحبّة المطلقة غير المشروطة لجميع الكائنات–، والتّصوّر اليهوديّ للإله، وصفاته –الله يأمر بأفعال سيّئةٍ شرّيرةٍ، كقتل الأطفال، والنّساء–، ولكنّها لا تشكّل تحدّيًا للتّصور الإسلامي لله، وصفاته –الله متّصفٌ بالعدل، والرّحمة، والمحبّة المشروطة لمن آمن به، والتزم أوامره، واجتنب نواهيه، وغير ذلك من الصّفات الحسنة.

ومعضلة الشّر تقوم في بنائها المنطقيّ على المتسلسلة التّالية:

الله متّصفٌ بكمال الرّحمة، والعلم، والقدرة. الإله المتّصف بما سبق يجب أن يمنع وجود الشرّ في العالم. وبما أنّ الشرّ موجودٌ.

إذن، فالنّتيجة المنطقيّة للمقدّمات السّابقة: إما أن يكون الله ضعيفًا غير قادرٍ على التدخّل لإيقاف الشرّ، أو أنّه سيّءٌ شريرٍ يرى الشّرور، ولا يريد التّدخّل لإيقافها.

وهذه النّتيجة متناقضةٌ مع ما يدّعيه المؤمنون من اتّصاف الله بكمال الرّحمة، والقدرة، والعلم.

وحتى ندحض هذه النّتيجة يجب أنّ نبين الخلل الذي وقع في هذه المتسلسلة، والذي أدّى لنتيجةٍ كهذه، ويكمن هذا الخلل في المقدّمة المنطقيّة الثّانية: الإله المتّصف بكمال العلم، والرّحمة، والقدرة يجب أن يمنع وجود الشّر في العالم؛ لأنّها تتضمّن إلزامًا لله بغير ملزِم، كما أنّها متعارضةٌ مع سبب خلق الله للكون، وما فيه من مخلوقاتٍ حسب التّصوّر الإسلاميّ القائم على فكرة الاختبار، والامتحان للمخلوقات العاقلة، كالبشر(٦٠)، وهذا الاختبار يكون بالشّر، والخير على حدٍّ سواءٍ، قال ﷻ: ﴿**وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً**﴾[٣٥: الأنبياء]، فالشّرور الموجودة في هذا العالم هي جزءٌ من امتحان الله للبشر، فلا معنى لإجراء الله لهذا الامتحان دون وجود الشرّ(٦١).

كما أنّ الشرّ ليس نوعًا واحدًا، بل أنواعًا متعدّدةً مختلفةً، كالشّرور الطّبيعيّة، مثل الزّلازل، والبراكين، والشّرور الأخلاقيّة التي هي أفعال الشّرّ التي يقوم بها الإنسان بمحض إرادته، كالقتل، والسّرقة(٦٢).

ومن أهمّ ما يدحض هذه المعضلة إثبات وجود حِكَمٍ وراء الشّرور الكثيرة في العالم دون الحاجة إلى تحديد كلّ حكمةٍ ناتجةٍ عن كلّ شرٍ بعينه؛ لصعوبة ذلك، أو شبه استحالته أحيانًا؛ لقصور العقل البشريّ، ومحدوديّة معارفه.

فإخبار الله تعالى عن الحكمة العامّة من وراء كلّ الشّرور، والمتمثّلة باختبار النّاس، وامتحانهم يُغني –عمومًا– عن الإخبار عن الحكمة من وراء كلّ شرٍّ(٦٣)، ومع ذلك فقد أخبرنا الله –تعالى– عن بعض الحكم الأخرى من الشرور منها:

أوّلًا: عقاب الله تعالى للأشرار السيّئين من النّاس على أفعالهم، قال ﷻ: ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾[٤١: الروم].

ثانيًا: تنبيه الإنسان إلى أنّ الله لم يخلقه لهذه الحياة المليئة بالشّرور؛ بل لحياةٍ أخرى خاليةٍ من الشّرور، والآلام؛ لأنّ الطّبيعة البشريّة جُبلت على الاستسلام للخير، والرّاحة، واللّذّة، والاطمئنان بها، فلو خلت هذه الحياة من الشّرور لركن النّاس إليها، واطمأنّوا لها، وتركوا العمل للآخرة، والاستعداد لها، قال ﷻ: ﴿**أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ**﴾[٣٨: التّوبة]، وقال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ**﴾[٧: يونس](٦٤).

ثالثًا: ومن حكم وجود الشرّ أنّه لا معنى للخير بدون وجود الشرّ؛ لأنّ الشيء لا يُعرف إلّا بنقيضه، أو ضدّه، فلا معنى للعافية بدون وجود المرض(٦٥)، وبما أنّ الملحد يقرّ بوجود قيمتيّ الخير، والشّر، فهذا يترتّب عليه إقراره بوجود معيارٍ أخلاقيٍّ متعالٍ عن المادّة، وهذا المعيار الأخلاقيّ المتعالي عن المادة لا يمكن وجوده بدون وجود إلهٍ أخلاقيٍّ غير مادّيٍ أوجد هذا المعيار، وأوجد قيمةً، ومعنًى لحياة النّاس، فالطّرح الإلحاديّ المنكر لوجود الله تعالى، والقائل بعبثيّة الحياة، وانعدام الهدف، والغاية من وجودها يزيل هذا المعنى من حياة الإنسان(٦٦).

لذا، نستغرب من استنكار الملحدين، كأرمين لوجود الشّر على الرّغم من كون المذهب الإلحاديّ الذي يتّبعونه ينزع عن الحياة، وما فيها من شرٍّ، وخيرٍ كلّ معنى، ويجعلها عبثيّةً بدون هدفٍ، أو غاية.

كما أنّ اختزال الوجود الإنسانيّ في هذه الحياة، وقطعه عن الوجود الأخرويّ بعد الموت يزيد من فظاعة الشّرّ الموجود في هذه الحياة، وشناعته، واستنكاره، أمّا الإيمان بحياةٍ أخرى بعد الموت، فهو يقلّل من شناعة هذا الشّرّ، ويُكسبه حكمةً

بالغةً[٦٧].

فالمؤمنون بالله، وبالحياة بعد الموت هم أقلّ استهجانًا، واستنكارًا للشرّ من الملحدين غير المؤمنين بالله، ولا بالحياة بعد الموت؛ لمعرفة المؤمنين أنّ هذه الحياة وإن كَثُرَت فيها الشّرور مرحلةٌ اختباريّةٌ مؤقّتةٌ تنتهي بالموت؛ لتأتي الحياة الحقيقيّة في الآخرة، حيث يُثاب من صبر على الامتحان بهذه الشّرور، وتَجنَّب ارتكاب الشّرّ – قدر الإمكان–، وفَعَلَ الخير بالجنّة الخالية من كلّ شرٍّ، ويُعاقَب من لم يصبر على الامتحان بهذه الشّرور، وقام بأعمال سيّئةٍ شريرةٍ بالنّار.

وتتمثّل الحكمة من وراء الشّرور، أو الكوارث الطّبيعيّة، كالزّلازل، والبراكين بكونها ناتجةً عن قوانين فيزيائيّةٍ، وطبيعيّةٍ يسير عليها الكون، ولا يخرج عنها، وهذه القوانين هي ما يضمن الاستمرار، والثّبات لهذا الكون، فالحرارة مثلًا هي قوام الحياة الفيزيائيّة، ولكنّ ارتفاعها بشكلٍ كبيرٍ قد يسبّب أحيانًا الحرائق، والأمراض[٦٨].

ولا تُعدّ الشّرور النّاتجة عن الكوارث الطّبيعيّة، كالزّلازل، والبراكين شرورًا محضةً، بل قد ينتج عنها بعض وجوه الخير، فالزّلازل، والبراكين تُعدّ عاملًا منفّسًا عن طاقة الأرض المخزونة؛ ممّا يسمح باستمرار الحياة على سطح الأرض، كما أنّها تُخرج الكثير من الثّروات المعدنيّة من باطن الأرض إلى سطحها؛ ليستفيد منها النّاس، وغير ذلك[٦٩]، وهذا يدلّ على عدم وجود ما يُعرف بالشرّ المحض، أو المطلق؛ لأنّ الشرّ –في الواقع– هو أمرٌ نسبيٌّ، أو جزئيٌّ[٧٠].

ونستنتج ممّا سبق أنّه لا يوجد شرٌّ محضٌ، أو مطلقٌ بل الشرّ أمرٌ نسبيّ، فما يكون شرًّا من وجهٍ قد يكون خيرًا من وجهٍ آخر، وبالنّسبة للشرور التي لا يظهر فيها – لبعض النّاس– أيّ وجهٍ للخير، كالشّرور الأخلاقيّة التي يرتكبها الإنسان، كالقتل، واغتصاب الأطفال، فهي ناتجةٌ –في الأصل– عن حريّة الإرادة التي أعطاها الله للإنسان، والتي يستطيع التّمييز من خلالها بين الخير، والشّر، والاختيار بينهما، فمضارّ هذه الشّرور أقلّ من منافع امتلاك الإنسان لمثل هذه الإرادة التي بدونها سيكون الإنسان كالآلة المبرمجة المسيّرة.

أيّ أنّ هذه الشّرور الأخلاقيّة التي يقوم بها النّاس ناتجةٌ عن الإرادة الحرّة المعطاة لهم من الله، وضريبةٌ منطقيّةٌ مقبولةٌ لهذه الإرادة[٧١].

وقد يعترض أحد الملحدين بقوله: إنّ الإنسان ما دام من مخلوقات الله، فإنّ كل أفعاله الخيّرة، والشّريرة من خلق الله، وتابعةٌ له[٧٢]، وللإجابة على هذا الاعتراض نقول: إنّ الله عندنا هو خالق كلّ شيءٍ بما في ذلك الشرّ، ولكنّ المسلمين لا ينسبون له الشّر مباشرةً، بل ينسبونه لمخلوقاته من باب التّأدب معه، ومع أنّ الله خلق الشرّ إلّا أنّه لا يحبّه، ولا يرضاه للنّاس، ويُعاقِب عليه بالنّار في الآخرة، وفي المقابل، فإنّه يحبّ الخير، ويأمر به، ويكافئ عليه في الآخرة بالجنّة[٧٣].

كما أنّ اعتبار الشّر شيئًا في حدّ ذاته يدخل ضمن مغالطةٍ منطقيّةٍ تسمّى (مغالطة التّشييء، أو التّجسيم)، والتي يتمّ فيها التّعامل مع الأشياء المجرّدة على أنّها ذواتٌ متحيّزةٌ، أو أحداثٌ واقعيّةٌ، فالشرّ ليس ذاتًا محسوسةً، أو مادّةً، وإنّما هو أثرٌ لفعلٍ، أو حالٍ ما، أيّ أنّه صفةٌ، وليس ذاتًا موضوعيّةً، وهذا يترتّب عليه أنّ نسبة الشّر إلى الله لا تصحّ؛ لأنّ الشّرّ هو صفةٌ لمخلوقات الله، إذن فهناك فرقٌ بين فعل الله المباشر، وفعل أحد مخلوقاته، فالله يريد للنّاس الخير،

ولا يريد لهم الشّرّ، ولكنّه أعطاهم حريّة الإرادة التي تمكّنهم من الاختيار بين الخير، والشرّ، وعلى هذا يكون الله قد خلق إمكان الشّر، وليس الشّرّ ذاته(٧٤).

ونختلف مع ما سبق، حيث يرى الباحثان بأنّ الله خلق الشرّ ذاته، وإمكان حدوثه؛ لأنّ الله هو خالق كلّ شيءٍ، بدليل قوله ﷻ: ﴿**اللَّـهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**﴾[٦٢: الزمر]، والشّرّ يُعتبر شيئًا؛ لأنّ الصّفات تابعةٌ للموصوفات، فالشّرّ شيءٌ معنويٌّ، أو صفةٌ معنويّةٌ تابعةٌ لمن يقوم بها، إذن فاعتبار الشّرّ شيئًا ليس داخلًا في (مغالطة التّشييء، أو التّجسيم) سابقة الذّكر إذا اعتبرناه شيئًا معنويًّا، وليس ماديًّا؛ لأنّ الأشياء على نوعين: ماديّةٌ، ومعنويّةٌ، بدليل أنّ الله وصف نفسه بالشّيء رغم تعاليه عن المادّة، وعدم كونه شيئًا ماديًّا، قال ﷻ: ﴿**قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّـهِ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ**﴾[١٩: الأنعام]، إذن فالله هو من خلق الشّر، وإمكان فعله لدى النّاس، لكنّه لا يحبه، ولا يرتضيه لهم.

ونستنتج ممّا سبق أنّ خلق الله للشرّ ليس أمرًا عبثيًّا، بل هناك الكثير من الحكم وراءه، ومن أبرزها اختبار الإنسان، وامتحانه في هذه الدّنيا؛ لمعرفة من يفعل الخير، فيفوز بالجنّة، ومن يفعل الشّرّ، فيدخل النّار، وأنّ الشّرور التي يقوم بها الإنسان، كالسّرقة، والقتل ناتجةٌ عن الإرادة الحرّة التي أعطاها الله للإنسان، والتي لا يمكن أنّ يتمّ اختبار النّاس دون وجودها.

فسماح الله تعالى بوجود الشرّ لا يطعن في كمال قدرته؛ لأنّه لمّا منح البشر حرّيّة الاختيار بين الخير، والشّرّ، فإنّه يلزم من منعه لوجود الشرّ مستحيلٌ، أو تناقضٌ منطقيٌّ، فإنّه من غير المنطقيّ أن يختبر الله –ﷻ– النّاس بالخير، والشرّ ثمّ لا يكون هناك شرٌّ(٧٥).

الخير هو الأصل والشّرّ محض استثناء.

يتغافل طارحو معضلة الشّرّ عن أنّ الأصل في الكون هو الخير، وأنّ الشّرّ محض استثناءٍ من هذا الأصل، ويُعدّ شاذًّا عنه، فمثلًا يفوق عدد الأصحّاء عدد المرضى بكثيرٍ، وتُعدّ الشّرور الطّبيعيّة، كالزّلازل، والبراكين استثناءً لا أصلًا في الكون، ولو حسبنا النّسبة المئويّة لكلّ الشّرور في العالم، فإنّ نصيب الفرد الواحد من هذه الشّرور سيكون قليلًا جدًّا(٧٦).

وهذا يقود إلى الإقرار بوجود خالقٍ خيّرٍ لهذا الكون، جعل الخير أصلًا له، والشّرّ استثناءً، وابتلاءً، واختبارًا للنّاس، ورتّب على فعل الشّرّ عقابًا أخرويًّا بالنّار، وعلى فعل الخير ثوابًا أخرويًّا بالجنّة، وهذا تفسيرنا نحن المسلمين لكون الخير أصلًا في الكون، والشّرّ استثناءً، فليفسّر لنا الملحدون هذا، وهم الذين يرون عبثيّة الحياة، وينكرون وجود خالقٍ متّصفٍ بالخير لها، وينزعون المعنى عنها، وعن كلّ ما فيها من خيرٍ، وشرٍّ!.

وبالنّسبة لنا نحن المؤمنين، فقد خلق الله بالفعل عالمًا كاملًا خاليًا من الشّرور هو الجنّة، ولكن يجب على الإنسان أن يجتاز امتحان الحياة الدّنيا المحتوية على أنواع الشّرور المختلفة؛ ليفوز بهذه الجنّة الخالية من كلّ شرٍّ.

المطلب السادس: الرد على شبهة أرمين: عن الخلود في الجحيم، أو العذاب اللانهائيّ لغير المؤمن.

يدّعي أرمين –ما مفاده–: كلّ دينٍ، كالمسيحيّة، والإسلام يدّعي أنّ الملحد، أو الكافر بهذا الدّين، والمؤمن بغيره من الأديان سيكون مصيره الخلود، أو العذاب اللانهائيّ في الجحيم(٧٧).

ونتفق مع قول أرمين السّابق، فكلّ دينٍ يدّعي أنّه الدّين الصّحيح، وأنّ أتباعه سيدخلون الجنّة دون غيرهم من المخالفين لهذا الدّين الذين سيكون مصيرهم النّار، وهذا أمرٌ طبيعيٌّ عند جميع البشر، فكلّ صاحب دينٍ، أو عقيدةٍ، أو فكرةٍ، أو مذهبٍ يعتقد أنّه صوابٌ، ويدعو النّاس إليه، أيّ أنّ هذا لا ينطبق على الدّين فقط، بل على كل فكرةٍ، أو مذهبٍ يؤمن به جماعةٌ من النّاس.

وبغضّ النّظر عن أيّ دينٍ هو الصّحيح من هذه الأديان–، فإنّ مجرّد الإيمان بإلهٍ خالقٍ خلق الكون تكون نتيجته المنطقيّة الإيمان بوجود حياة أخرى (آخرة)، حتّى لو لم يُرسِل هذا الخالق رسلًا بأديانٍ، وشرائع للنّاس؛ لأنّه دون وجود آخرةٍ، وتتمّةٍ لهذه الحياة[٧٨]، فإنّ هذا يؤدي للقول بعبثيّة الحياة، وعدم وجود هدفٍ، أو غايةٍ، أو حكمةٍ من وراء خلق الله لها[٧٩].

إذن فبعد أن يقتنع المرء بوجود إلهٍ خالقٍ للكون كامل الصّفات، فإنّ التّسلسل العقليّ المنطقيّ يقوده إلى الإقرار بوجود حياةٍ أخرى متمّمةٍ لهذه الحياة؛ لأنّ عدم الإقرار بوجودها يؤدّي إلى القول بعبثيّة الحياة، وانعدام الغاية، والهدف، والحكمة من ورائها، والله كامل الصّفات منزّهٌ عن العبثيّة، وخلق شيءٍ بلا هدفٍ، أو غايةٍ.

وكما ذكرنا سابقًا، فإنّ الله يُوصف بالعدل، وليس المحبّة، والرحمة فقط، والعدل يتطلّب وجود مبدأ الثّواب، والعقاب، فالعذاب الأبديّ للكافرين في الجحيم هو المقابل للنّعيم العظيم للمؤمنين في الجنّة[٨٠].

أيّ؛ أنّ وجود الثّواب للمؤمنين الطّائعين بالجنّة، والعقاب للكافرين، والعصاة بالنّار في الحياة الأخرى بعد الموت هو من النّتائج المترتبة على عدل الله تعالى، وعدم ظلمه لمخلوقاته.

فالعقاب بالنّار هو عقابٌ من الله للكافرين، والعصاة المذنبين، والله يغفر جميع الذّنوب، والمعاصي، إلا الشّرك، والكفر به، قال ﷻ: **﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء﴾**[٤٨: النساء]، ويُعاقِب على الشّرك، والكفر بالخلود الأبدي في النّار، قال: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ﴾**[١٦١– ١٦٢: البقرة].

ونؤمن نحن المسلمين أنّ اعتناق الدّين الإسلاميّ –دون غيره من الأديان– يُنجي من الخلود الأبديّ في النّار، قال ﷻ: **﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾**[٨٥: آل عمران]، وأنّ الله لا يقبل غير اتّباع دين الإسلام سبيلًا للنّجاة، ولو اتّبع الإنسان دينًا آخر، كالمسيحيّة مثلًا، فإنّه يُعتبر كافرًا، ويخلد في النّار.

وهذا مايعتقده أتباع كلّ دينٍ، فالنّصارى يعتقدون أنّ المسيحيّة، أو النّصرانيّة هي الدّين الصّحيح، وأنّ من يعتنق دينًا غيرها يُعدّ كافرًا، ويخلد في النّار، وهذا ينطبق على اليهود، والمجوس... إلخ.

ونقول لأرمين: إذا اقتنعت كملحدٍ –بالأدلّة العقليّة المنطقيّة– بوجود الإله الخالق للكون، واقتنعت بضرورة وجود حياةٍ أخرى بعد الموت يظهر عدل الله فيها جليًّا بثواب المحسنين، وعقاب المسيئين، فإنّك لا تجد كلّ ما سلّمت به بالعقل، والمنطق إلّا في الدّين الإسلاميّ؛ لأنّه يدعوك للإيمان بالله الخالق لهذا الكون، والإيمان بعقيدة الثّواب، والعقاب في الآخرة.

وبما أنّ كلّ دينٍ يدّعي أنّه الدّين الوحيد الصّحيح، وأنّ من يكفر به يخلد في النّار، فإنّ على أرمين، أو أيّ ملحدٍ غيره –لو اقتنع بوجود الله تعالى أن يبحث عن الدّين الصّحيح بنفسه، من خلال المقارنة بين هذه الأديان، وما تطرحه من

أدلّةٍ، وعقائد، وما تقدّمه من تصوّرٍ عن الله لمعرفة أيٍّ منها هو الدّين الحقّ.

ونعود إلى موضوع الردّ على كون العذاب في الجحيم للملحد، أو الكافر أبديًّا، وليس مؤقّتًا رغم أنّ امتحان الله للنّاس في الدّنيا كان مؤقّتا بعددٍ معيّنٍ من السّنوات، فنقول: إنّ الله يوصف بالعدل – كما ذكرنا سابقًا–، وأنّ المعيار الصّحيح للعدل لا يكون بعدد سنوات العقاب، بل بمناسبة هذا العقاب للجريمة المرتكبة بغضّ النظر عن الوقت الذي استغرقته الجريمة، فجريمة القتل مثلًا قد يستغرق ارتكابها عدّة ثوانٍ لكنّها جريمةٌ عظيمةٌ يكون عقابها شديدًا بالسّجن المؤبّد، أو الإعدام(٨١).

ولا يوجد ذنبٌ أعظم عند الله من الكفر، أو الشّرك به، وبما أنّ الله جعل هذه الحياة اختبارًا للنّاس، فإنّ من يرتكب هذه الجريمة في حياته حتّى لو كانت محدودةً بعددٍ معيّنٍ من السّنوات، فإنّ الله يعاقبه بالخلود في النّار، وهذا العقاب رغم ما يبدو عليه من الشدّة، إلّا أنّه متناسبٌ مع شدّة الجريمة التي نتج عنها الكفر بالله، أو الشّرك به.

وغالبية الامتحانات الدّنيويّة البشريّة تكون قصيرةً، ومحدّدةً بوقتٍ معيّنٍ، ولكنّ نتائجها تكون مؤثّرةً على حياة المرء كلّها، وكذلك امتحان الله للنّاس في هذه الحياة الدّنيا فإنّه رغم قصره، ومحدوديّته بعدد معيّنٍ من السّنواتٍ تمثّل بالنّسبة لكلّ إنسانٍ عدد سنوات حياته إلا أنّه كافٍ عند واضع هذا الامتحان –الله سبحانه– في تحديد النّتيجة النّهائيّة لكل إنسانٍ خاض هذا الامتحان: إمّا الخلود في الجنّة، أو الخلود في الجحيم(٨٢)، أو عذاب الجحيم المؤقّت للمؤمن العاصي. ونؤمن نحن المسلمين بكمال علم الله، وأنّه يعلم أنّه لو زاد من مدّة حياة هؤلاء الكفّار، أيّ مدّة اختبارهم فإنّهم سيبقون على كفرهم به، وسيطلبون منه –سبحانه– يوم القيامة بعدما يرون الجحيم أنّ يُرجعهم إلى الدّنيا؛ كي يؤمنوا به، لكنّ الله بعلمه الكامل يعلم أنّهم كاذبون، وأنّه لو أرجعهم إلى الدّنيا، وزاد من أعمارهم، فإنّهم سيعودون للكفر به، حتّى مع رؤيتهم للجحيم، والجنّة، والآخرة بكلّ ما فيها رؤيةً ماديّةً حقيقيّةً!، قال ﷻ: **﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * وَقَالُواْ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾**[٢٧– ٢٩: الأنعام].

المطلب السّابع: مناقشة موضوع: تأثير البيئة، والمجتمع على عقيدة الإنسان.

يدّعي أرمين قائلاً: لا يوجد شكٌّ أنّ الإله الجيّد لن يُعاقب أحدًا من خلقه؛ لمجرّد ولادته في بيئةٍ، ومجتمعٍ يؤمن بإلهٍ آخر، أو يتّبع دينًا، أو كتابًا مقدّسًا خاطئًا(٨٣).

والباحثان يوافقان أرمين في هذا؛ لأنّ الله يتّصف بالعدل، وقد حرّم الظّلم على نفسه، ويشهد لذلك ما ورد في الحديث القدسيّ على لسان الله –تعالى–: "يا عبادي إنّي حرّمت الظّلم على نفسي"(٨٤)، فالله لا يُعذّب أحدًا من خلقه إلّا بعد أن تقوم عليه الحجّة، ويصله الدّين الصّحيح– وهو عندنا الإسلام– كما هو بدون تحريفٍ، أو تشويه، قال ﷻ: **﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾**[١٥: الإسراء].

ومن المعروف أنّ الإنسان يتأثر ببيئته، ومجتمعه، وخصوصًا والديه في موضوع اعتناق دينٍ معيّنٍ، كما بيّن الرّسول ﷺ: "ما من مولودٍ إلا يُولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه، وينصّرانه، ويمجّسانه ..."(٨٥)، إلّا أنّ هذا لا يُلغي حريّة الإرادة،

والاختيار التي أعطاها الله له، فله حريّة البقاء على دينه الذي وُلِدَ عليه، أو تغييره واعتناق دينٍ آخر، أو الإلحاد، وترك الإيمان بالله بالمطلق، كما فعل أرمين الذي وُلِدَ في بيئةٍ، ومجتمعٍ إسلاميٍّ، ولأبوين مسلمين، لكنّه ترك الإسلام، وأصبح ملحدًا، وقد فعل ذلك بكامل حريّته، وإرادته بعد قيامه بالبحث، والدّراسة، ثمّ اقتناعه بالإلحاد.

فعلى كلّ شخصٍ أن يقوم بالبحث، والدّراسة؛ ليختار ما يريد أن يتبنّاه من أفكارٍ، أو عقائد، أو أديانٍ لا أن يعتمد فقط على ما وجد عليه أهله، وبيئته، ومجتمعه، وله كامل الحريّة، والإرادة في ذلك.

والله يحاسب الإنسان على ما اختاره بناءً على حريّة الإرادة التي أعطاها له حتّى إن وافق اختياره الدّين الذي وُلِدَ، وتربّى عليه، وإن كان خاطئًا فإنّه سيعاقبه بالجحيم إلّا في حالة لم يتمكّن من البحث، والدّراسة عن الدّين الصّحيح، أو لم يصله الدّين الصّحيح، أو وصل إليه محرّفًا مشوّهًا – أي ليس بصورته الحقيقيّة–، قال ﷻ: **﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾**[١٥: الإسراء].

ولكنه مع سهولة الوصول إلى المعلومات اليوم عبر الإنترنت، وغيره من وسائل المعرفة، كالكتب، والمجلّات، فإنّ من السّهولة بمكانٍ الحصول على المعلومات الصّحيحة عن أيّ دينٍ، أو مذهبٍ في العالم، وهذا يشمل أغلب البشر، باستثناء بعض القبائل النائية، أو الفقراء ممّن لا يستخدمون الإنترنت، أو ممّن يعيشون بمعزلٍ عن التّجمعات البشريّة الأخرى.

وهؤلاء تنطبق عليهم أحكام أهل الفترة[٨٦] الذين لم تصلهم دعوة النّبيّ محمّد ﷺ، ومن لم تبلغه الدّعوة لا تلزمه الشّريعة أصلًا، ولا تقوم عليه الحجّة، والدّليل على ذلك قوله ﷻ: **﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادةً قُلِ اللّهِ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾**[١٩: الأنعام]، وقوله: **﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾**[٢٨٦: البقرة]، وتكليف الشّريعة لمن لم يبلغها هو من تكليف ما لا يُطاق، ولا أحد يستطيع معرفة الغيب بأن يعرف الشّريعة قبل أن تُبلّغ إليه، وقوله: **﴿ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾**[١٣١: الأنعام].

إذن، فإقامة الحجّة على النّاس لا تكون إلا ببلوغ دعوة النّبيّ محمّد ﷺ لهم، فمن لم تبلغه دعوة النّبيّ ﷺ، ولم يسمع بها لا تقام عليه الحجّة، ولا يُعتبر كافرًا إن مات على غير الإسلام، أمّا من بلغته دعوة النّبيّ ﷺ، وسمعها، فإنّ الحجّة تُقام عليه، ويُعتبر كافرًا إن مات على غير الإسلام، فقد ورد في صحيح مسلم قول النّبيّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»[٨٧] وهناك الكثير من التّفاصيل المتشعبة في أقسام أهل الفترة، ومن لم تصله الدّعوة، وأحكامهم لا يتّسع المجال لذكرها هنا؛ لتشعّبها، وكثرة الخلافات الفقهيّة الواردة فيها.

المطلب الثامن: الرد على شبهة أرمين: المعيار المزدوج في فكرة وجود إلهٍ محدّدٍ.

يذكر أرمين فكرةً أثارها عالم الأعصاب سام هاريس[٨٨] –لها علاقةٌ بالنّقاش في مسألة الأخلاق عند الدّين المسيحيّ– هي: المعيار المزدوج في فكرة وجود إلهٍ محدّدٍ[٨٩]، أي أنّه "عندما يحدث شيءٌ جيّدٌ للمؤمن سينسبه إلى الله مباشرةً، وعندما تحدث كارثةٌ غالبًا ما سيقول أنّ إرادة الله غامضةٌ، ولا يمكن فهمها بواسطة العقل البشريّ"[٩٠].

ثمّ يدّعي أرمين أنّ هذه الادّعاءات لا تضع قاعدةً قويّةً للاعتقاد بأنّ الله هو المصدر الأساسيّ للأخلاق؛ لأنّها متناقضةٌ، ثمّ إذا كانت إرادة الله غير مفهومةٍ، فلماذا تُنسب الأشياء الجيّدة إليه؟[٩١].

إنّ ما طرحه عالم الأعصاب سام هاريس متعلّقٌ بنقاش موضوع الأخلاق في الدّين المسيحيّ الذي يدّعي – كما ذكرنا سابقًا– أنّ الله إله خيرٍ، ومحبّةٍ مطلقةٍ محضةٍ لجميع الكائنات، ويترتب على هذا ما يعتقده النّصارى من أنّ الأشياء الجيّدة، أو الخيّرة يجب أن تُنسب إلى الله، وأنّ الأشياء السّيئة، والكوارث لا يجب أن تُنسب إليه، وأنّ حدوثها يرجع إلى إرادة الله الغامضة التي لا يمكن فهمها بالعقل البشريّ.

والسّبب الذي جعل النّصارى لا ينسبون حدوث الأشياء السّيئة، كالكوارث إلى الله أنّهم لو فعلوا ذلك، فسيتعارض هذا مع ادّعائهم أن الله إله خيرٍ، ومحبّةٍ مطلقةٍ، إذ كيف يمكن لإلهٍ كهذا أن يخلق الشرّ، أو يسمح بحدوثه؟!.

ونقول: إنّه لو كان كلّ ما أراده الله غامضًا غير مفهومٍ بالعقل البشريّ، فعلى أيّ أساسٍ ننسب الأشياء الخيّرة إليه؟، فلو كان كلّ ما يصدر عن الله غامضًا غير مفهومٍ لما استطعنا أن ننسب إليه ما يحدث من أمورٍ خيّرةٍ؛ لأنّ حدوث هذه الأمور الخيّرة سيكون عندئذٍ أمرًا غامضًا غير مفهومٍ بالنسبة لنا.

ونؤكد أنّ ما طرحه سام هاريس لا يمثّل مشكلةً، وتحدّيًا بالنّسبة لنا كمسلمين؛ لأنّ التّصوّر الإسلاميّ لله عندنا مختلفٌ عن التّصوّر المسيحيّ له، فالله عندنا هو خالق الخير، والشّرّ، وغرضه من ذلك ابتلاء النّاس، واختبارهم في هذه الحياة، ثمّ إثابتهم، أو عقابهم في الآخرة بناءً على نتيجة هذا الاختبار، وهناك حكمٌ أخرى لخلقه للشرّ –ذكرنا بعضًا منها سابقًا–، أبرزها اختبار النّاس، وامتحانهم، وكما خلق الله الشّرّ، خلق الخير كذلك، قال ﷻ: **﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾**[١٠٢: الانعام].

وهناك الكثير من أفعال الله النّابعة لإرادته الغامضة التي لا يمكن فهم كثيرٍ من حيثيّاتها، وتفاصيلها بالعقل البشريّ؛ لقصوره عن إدراكها، لكنّ هذا لا يمنع من نسبة هذه الأفعال – بصورةٍ عامّةٍ– إلى فاعلها الله ﷻ.

وإرادة الله قد تكون غامضةً أحيانًا، ومفهومةً لنا أحيانًا أخرى؛ لأنّ العقل قد يدرك بعض حكم الله وراء أفعاله، وبعض حيثيّات، وتفصيلات هذه الأفعال، فهو رغم قصوره، ومحدوديّته يتمتّع بالوعي، والقدرة على التّحليل، والاستنتاج.

فالله –من المنظور الإسلاميّ– هو خالق أفعال البشر السيّئة الشرّيرة، وهو من أوجد لديهم إمكانًا لفعلها، لكنّ هذه الأفعال – كما ذكرنا سابقًا– هي ضريبةٌ، ونتيجةٌ لحريّة الإرادة، والاختيار بين الخير، والشرّ التي خلقها الله في الإنسان، والله ﷻ لا يحبّ هذه الأفعال، ولا يرضاها للنّاس –رغم خلقه لها–؛ لذا فهو يعاقب عليها في الآخرة.

إذن، فالله هو مصدر كلّ الأخلاق، وهو خالق الخير، والشرّ، ولكنّه يحبّ الخير، ويأمر به النّاس، ويكافئ، أو يُثيب عليه في الآخرة، ويكره الشرّ، ويحذّر منه النّاس، ويعاقب عليه في الآخرة.

المطلب التاسع: الرد على شبهة أرمين: التفسير العلميّ للأخلاق.

يدّعي أرمين إمكان وجود الأخلاق خارج إطار الدّين بشكلٍ كاملٍ، ويدّعي وجود أخلاق عند الحيوانات، كالإيثار خاصّةً عند تلك التي تعيش في مجتمعاتٍ منظّمةٍ[٩٢].

وما يدّعيه أرمين من وجود أخلاقٍ لدى البشر خارج إطار الدّين، بل حتّى عند بعض الحيوانات يدخل في حيّز الأخلاق الغريزيّة الفطريّة –التي تحدّثنا عنها سابقًا–، كالإيثار، والتّعاطف، وحبّ العدالة، والتي أوجدها الله بصورةٍ غريزيّةٍ منذ الولادة في البشر، وبعض الحيوانات، فهذه يمكن أن توجد –بالفعل– خارج إطار الدّين، فنحن قد نجد من الملحدين من يتحلّى بمثل هذه الأخلاق رغم إنكاره للأديان.

والأديان، كالإسلام تحثّ على مثل هذه الأخلاق الفطريّة، وتقرّ بفطريّتها لدى الإنسان، قال ﷺ: "إنّما بُعثت لأتمّم صالح الأخلاق"[٩٣]، وفي هذا الحديث إشارةٌ إلى وجود أخلاقٍ فطريّةٍ سابقةٍ على الدّين لدى البشر، بُعِثَ النّبيّ محمّد ﷺ برسالة الإسلام؛ ليتمّمها، ويضيف إليها المزيد من الأخلاق المكتسبة، كالحِلم، والعفو عن النّاس، والصّبر، والصّدق.

وقد أشار أرمين إلى هذا النّوع الثّاني من الأخلاق –الأخلاق المكتسبة– بقوله: "المعايير الأخلاقيّة هي بنياتٌ اجتماعيّةٌ ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالظّروف الثّقافيّة، ومن الممكن أن تتغيّر مع مرور الوقت"[٩٤].

فالأخلاق المكتسبة هي التي يكتسبها الإنسان من ثقافته، وبيئته الخارجيّة المحيطة به، كالصّبر، والعفو، والحِلم، فهي ليست متأصّلةً فيه، كالأخلاق الغريزيّة، ومن الممكن أن تتغيّر، وتتبدّل بتغيّر الزّمان، والمكان، والظّروف الاجتماعيّة، والثّقافيّة المحيطة بالفرد.

ويرى الباحثان أنّ أرمين يُعمّم طبيعة الأخلاق المكتسبة، وحالها على الأخلاق الفطريّة، وهذا التّعميم غير صحيحٍ؛ لأنّ الأخلاق الفطريّة هي أمورٌ غريزيّةٌ موجودةٌ في تركيب الإنسان الجسميّ، والنّفسيّ؛ لذا فهي تمتاز بالثّبوت، والدّوام، أيّ أنّها لا تتغيّر بتغيّر الزّمان، والمكان، إلّا في بعض الحالات الشّاذّة غير المعتبرة التي يتصرّف فيها الإنسان عكس غريزته، وفطرته، إلّا أنّ هذا لا يعارض بقاء مثل هذه الأخلاق الفطريّة عند أغلب البشر.

ويعزو أرمين سبب نشوء الأخلاق لدى البشر، كالإيثار، والتّعاطف، وحبّ العدالة إلى سببٍ ماديٍّ بحتٍ هو تطوّر الجينات، والدّماغ البشريّ، ويرى أنّ هذا التّطور هو المسؤول كذلك عن وجود الرّغبات الأنانيّة لدى البشر[٩٥].

والوصف السّابق ينطبق على الأخلاق الغريزيّة الفطريّة التي تنشأ مع الإنسان منذ ولادته، وليس على الأخلاق المكتسبة التي يكتسبها الإنسان من بيئته، وظروفه الخارجيّة المحيطة به، فأرمين لم يُفرّق –من الأساس– بين قسميّ الأخلاق: الغريزيّ، والمكتسب تفريقًا علميًّا واضحًا؛ ممّا سبّب له الإشكال، والالتباس، والوقوع في التّناقض في كثيرٍ من أقواله.

ولسنا هنا بصدد مناقشة نظريّة التطوّر، وصحّتها من عدمه، ولكن بافتراض صحّة ما قاله أرمين، وأنّ هذا السّبب الماديّ الذي ذكره –تطوّر الجينات، والدّماغ البشريّ– هو سبب نشوء الأخلاق، فإنّ هذا لا يعني بالضّرورة أنّه لا يوجد سببٌ غير ماديٍّ لنشوء هذه الأخلاق، وبعبارةٍ أخرى، فإنّ السّبب الماديّ لنشوء الأخلاق – على فرض صحّته–، فإنّه لا يعدو أن يكون شرحًا للكيفيّة الماديّة التي نشأت بها الأخلاق، وهو لا يتطرّق لموضوع مُنشِئ هذه الأخلاق، وأصلها الذي جاءت منه الذي يعدّ خارج مجال المادّة، والعلم؛ لأنّه لا بدّ لكلّ سببٍ من مسبّبٍ، ولكلّ شيءٍ –ماديٍّ، أو معنويٍّ– من مُنشِئ، وبما أنّ الأخلاق شيءٌ، أو سببٌ معنويٌّ، إذن فهي تحتاج إلى مسبّبٍ، أو منشئ أوّل –نطلق عليه نحن المؤمنين: الإله–.

ونستنتج ممّا سبق أنّ وجود مجموعةٍ من الأخلاق الغريزيّة الفطريّة خارج إطار الدّين لا يعني أنّ أصل الأخلاق ليس

من الله؛ لأنّ الله خالق هذا الكون بما فيه من مخلوقاتٍ، وقد أودع في هذه المخلوقات، كالبشر، والحيوانات نظامًا أخلاقيًّا غريزيًّا يشمل العديد من الأخلاق، كحبّ العدل، وكراهيّة الظّلم، وتكمن وظيفة الدّين في التأكيد على هذا النّظام، والحثّ عليه، وإضافة مجموعةٍ من الأخلاق المكتسبة إليه، كالصّبر، والعفو عند المقدرة، والحِلم؛ لتكتمل بهذا المنظومة الأخلاقيّة التي ارتضاها الله للنّاس، قال ﷺ: "إنّما بُعثت لأتمّم صالح الأخلاق"[٩٦].

ونستنتج كذلك أنّ وجود من الأخلاق المكتسبة التي تتأثر بالظّروف الثّقافية، والبيئيّة الخارجيّة المحيطة بالفرد، والتي تتغيّر بتغيّر الزّمان، والمكان خارج إطار الدّين لا يعني أنّ أصل الأخلاق ليس من الله؛ لأنّ الله هو الذي خلق البشر، وهيّأ لهم اكتساب هذا النّوع من الأخلاق، وجعله تابعًا لظروفهم الثّقافيّة، وطبيعة بيئاتهم، وأحوالهم المتقلّبة المتغيّرة بتغيّر الزّمان، والمكان.

والملحدون الذين لم يقتنعوا بوجود الله –تعالى–، أو الذين يشكّون بوجوده لن يقتنعوا –على الأغلب– بكلامنا هذا؛ لأنّهم لا يؤمنون بالله أصلًا؛ لذا فهم سيدافعون عن فكرة أنّ الله ليس أصل الأخلاق، وأنّها نشأت نتيجةً لظروفٍ ماديّةٍ بحتةٍ، أو لظروفٍ اجتماعيّةٍ، وثقافيّةٍ دون تدّخلٍ من الله، وسيسوقون كلّ الأدلّة التي تثبت صحّة ادّعاءاتهم هذه، ويتغافلون عن كلّ الأدلّة التي تخالف هذه الادّعاءات.

ولكنّنا نقول لهؤلاء الملحدين: إن الاقتناع بأنّ الله أصل الأخلاق هو نتيجةٌ مترتّبةٌ على الاقتناع بوجود الله، وعدم الشكّ فيه، ولكم كامل الحرّية في عدم الإيمان بوجود الله، ولكنّ هذا لا يجعل ممّا اقتنعتم به صحيحًا، فهو صحيحٌ عندكم باطلٌ عندنا؛ لكثرة الأدلة العقليّة المنطقيّة التي تدعم وجود الله –تعالى–.

الخاتمة:

وفي ختام هذه الدّراسة نذكر أبرز النّتائج التي توصلنا لها:

١- ليس بالضّرورة أن يكون الملحد سيّء الخُلُق، وأن يكون المؤمن حَسَن الخُلُق؛ لأنّ هذا الأمر يعتمد على عوامل أخرى، غير الإيمان، والتّديّن، كما أن المؤمن قد لا يلتزم بتعاليم دينه في بعض الأحيان.

٢- يزيد الإيمان بالله –تعالى– من الالتزام الخُلُقي لدى المؤمن؛ لأنّه يُشكّل دافعًا قويًّا يُلزمه بحُسن الخلق، يتمثّل في الرّغبة بالثّواب، والخوف من العقاب في الحياة الآخرة.

٣- هناك قسمان رئيسان للأخلاق عند البشر، قسمٌ فطريٌّ غريزيٌّ ينشأ مع الولادة، وقسمٌ مكتَسبٌ متعلّمٌ من البيئة، والظّروف.

٤- يُعدّ الدّين مصدرًا للعديد من الأخلاق المكتسبة، كالصّبر، والحِلم، ومؤكّدًا على الأخلاق الفطريّة لدى البشر.

٥- لا تُعدّ الحدود، والعقوبات في الإسلام، وبعض الأديان الأخرى، كحدّ الزّنا من قبيل العنف المطلق الوحشيّ، بل هي شكلٌ مقنّنٌ من العقوبات الرّادعة التي تهدف إلى حفظ تماسك المجتمع، ومنع انتشار الفساد فيه.

٦- ليس بالضّرورة أن تبقى الأخلاق التي مصدرها من الله ثابتة لا تتغيّر فهناك أخلاق مطلقة ثابتة لا تتغيّر بتغيّر الزمان كالصدق والأمانة وبرّ الوالدين، وهناك أخلاق متغيّرة تتغيّر بتغيّر الزمان كالعبودية وملك اليمين.

٧- تبيّن خطأ معضلة (يوثيفرو) منطقيًّا، والتي اعتمد عليها أرمين في بناء شبهته التي تتضمّن التّشكيك في كون أصل الأخلاق، ومصدرها هو الله -تعالى-.

٨- الله ﷻ هو أصل جميع الأخلاق الفطريّة، والمكتسبة، فهي انعكاسٌ لطبيعته، متجذّرةٌ فيه، وجزءٌ لا يتجزّأ من ذاته، وصفاته -سبحانه-.

٩- تُعدّ معضلة الشّرّ من أخطر الشّبهات الإلحاديّة، والتي ألحد بسببها الكثير من النّاس.

١٠- تشكّل معضلة الشّرّ تحدّيًا لكلٍّ من التّصوّرين: اليهوديّ، والمسيحيّ للإله، لكنّها لا تشكّل أيّ تحدٍّ بالنّسبة للتّصوّر الإسلاميّ للإله.

١١- هناك العديد من الأسباب، والحكم العامّة، والخاصّة لوجود الشّرّ في العالم؛ ممّا يُضعف شبهة معضلة الشّرّ الإلحاديّة، ويبيّن تهافتها.

١٢- الله هو خالق كلّ شيء بما في ذلك الخير والشرّ، وهو خالق أفعال العباد، وهذا لا يتنافى مع عدل الله؛ لأنّ الله يخلق الشرّ لكن لا يرضاه ولا يأمر به؛ لأنّ إرادة فعل الشرّ ترجع للعبد وليس لله.

التّوصيات: يوصي الباحثان بما يأتي:

١- نوصي طلبة العلم بإكمال دراسة ما تبقّى من مجادلات أرمين دراسةً نقديّةً، والردّ على الشّبهات الإلحاديّة الواردة فيها.

٢- التّوسع في دراسة المذهب الإلحاديّ، والردّ على شبهاته، وعدم الاكتفاء بما هو موجودٌ من دراساتٍ، وردودٍ؛ دفاعًا عن الدّين، ونظرًا لما تتميّز به شبهات الملحدين من تحديثٍ مستمرٍّ، ومواكبةٍ لمستجدّات العصر، وتأثيرٍ على فئةٍ لا يستهان بها من الشّباب المسلم.

الهوامش:

(١) انظر: أرمين ناوابي، **لماذا ليس هناك إله: أجوبةٌ مبسّطةٌ لأشهر عشرين ادّعاءً يزعم وجود الله**، ترجمة: عبد الله أحمد، أربيل، دار الليبرالية، العراق، الجمهورية الملحدة، (د. ت). https://cutt.us/G2OR5

(٢) انظر: المرجع نفسه.

(٣) انظر: https://www.youtube.com/watch?v=63oZJo_szp4

(٤) انظر: https://www.youtube.com/watch?v=63oZJo_szp4

(٥) الشّخصيّة الارتيابيّة، أو الشّكيّة هي الشّخصيّة التي تَكثر لديها الشّكوك بشكلٍ مستمرٍّ في النّاس، والأفكار، ويكون هذا الشكّ -في الأغلب- بدون مبرّراتٍ منطقيّةٍ، للمزيد: https://2u.pw/DS2k1

(٦) عمرو شريف، **الإلحاد مشكلةٌ نفسيّةٌ: علم نفس الإلحاد**، القاهرة، نيوبوك للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠١٦م (ط١)، ص١٢ -١٣.

(٧) انظر: https://books.google.jo/books?id=qW2-BAAAQBAJ&source=gbs_navlinks_s

(٨) انظر: ناوابي، **لماذا ليس هنالك إله**، ص٤.

(٩) انظر: ناوابي، **لماذا ليس هنالك إله**، ص٤.

(١٠) انظر: ناوابي، **لماذا ليس هنالك إله**، ص١٩.

(١١) دني. ي. **أصول الأخلاق**، ترجمة: إبراهيم رمزي، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ٢٠١٦، ص٦٢.

(١٢) انظر: دني. **أصول الأخلاق**، ص١١.

(١٣) انظر: ناوابي، **لماذا ليس هنالك إله**، ص١٩.

(١٤) ناوابي، **لماذا ليس هنالك إله**، ص١٩.

(١٥) انظر: طارق علي، **الإعلام الطائفي**، عمان، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٢٠م، ص٢٤٥.

(١٦) انظر: علي، **الإعلام الطائفي**، ص٢٤٥.

(١٧) ويليام كافانو، **أسطورة العنف الديني: الأيديولوجيا العلمانية وجذور الصراع الحديث**، ترجمة: أسامة غاوجي، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، لبنان ٢٠١٧م (ط١)، ص٧.

(١٨) محمد عبود، **أشكال العنف الأسري لدى طلبة المرحلة الثانوية في محافظة إربد**، رسالة ماجستير، إربد، جامعة اليرموك، ٢٠٠٦م، ص١٦- ١٨.

(١٩) (مغالطة الاجتزاء من السّياق) تكون باجتزاء نصٍّ، وإخراجه عن سياقه العام الذي ورد فيه، أو تحريف معناه الأصليّ، كما لو كان نصًّا آخر تمامًا؛ بغرض التّضليل، فسياق الكلام هو الذي يحدّد قوام المعنى، ويمنع حدوث الالتباس، وفي غيابه يحدث الالتباس، ويضيع المعنى المراد من النّصوص، والمرتكب لهذه المغالطة والمغالط بهذا يمكن أن يجتزئ من النّصوص ما يشاء، ويحمّلها من المعاني ما يريد: للمزيد: انظر: أحمد العمري، ليطمئن عقلي، مرجع سابق، ص٤١٣، وانظر: عادل مصطفى، **المغالطات المنطقية: فصول في المنطق غير الصوري**، القاهرة، مؤسسة هنداوي سي آي سي للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠١٩م، ص١٧٧- ١٧٨.

(٢٠) انظر: أحمد العمري، **ليطمئن عقلي**، القاهرة، عصير الكتب للنّشر والتّوزيع، مصر، ٢٠١٩م (ط١)، ص٤٢٤.

(٢١) مذهبٌ اللّاعنف: هو مذهبٌ قائمٌ على مقاومة المعتدين، والمحتلّين سلميًّا بدون استخدام العنف الجسديّ المسلّح، وقد ارتكز على هذا المذهب فكر المهاتما غاندي الزّعيم الروحيّ للهند، وقد استقى غاندي تعاليم هذا المذهب من الأسس الأخلاقيّة في الدّيانة الهندوسيّة، وغيرها من ديانات الهند الكبرى القائمة على التّعاليم الرّوحيّة، وتمجيد الرّوح، وتقديسها على حساب الجسد الماديّ. للمزيد: انظر: https://elaph.com/Web/opinion/2010/4/549733.html

(٢٢) انظر: عمري، **ليطمئن عقلي**، ص٤٣١.

(٢٣) انظر: ناوابي، **لماذا ليس هناك إله**، ص٢٠- ٢١.

(٢٤) انظر: محمّد حسين، **الشّريعة الإسلاميّة صالحةٌ لكلّ زمانٍ ومكان**، تقديم: عمارة، محمّد، القاهرة، دار نهضة مصر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، مصر، ١٩٩٩م، ص٢٤.

(٢٥) انظر: حسين، **الشّريعة الإسلاميّة صالحةٌ لكلّ زمانٍ ومكان**، ص١٢- ١٣.

(٢٦) انظر: محمد قطب، **شبهات حول الإسلام**، القاهرة، دار الشّروق، مصر، ١٩٩٢م (ط٢١)، ص ٤٤.

(٢٧) انظر: قطب، **شبهات حول الإسلام**، ص٤٦، ص ٥١- ٥٢.

(٢٨) انظر: العمري، **ليطمئن عقلي**، ص٤٥٦، ص ٤٥٩- ٤٦٠.

(٢٩) انظر: العقاد، عباس محمود. **الفلسفة القرآنية**، مؤسسة هنداوي، يورك هاوس، المملكة المتحدة، ٢٠١٤م، ص٧٥- ٧٨.

(٣٠) انظر: ناوابي، **لماذا ليس هناك إله**، ص٢٠.

(٣١) انظر: ناوابي، **لماذا ليس هناك إله**، ص٢١.

(٣٢) انظر: العمري، **ليطمئنّ عقلي**، ص٣٠٠.

(٣٣) قناة، تنوير. ٢٠١٦م. معضلة يوثيفرو. https://www.youtube.com/watch?v=DFjO9gtoB7o

(٣٤) بتصرف يسير، شعبان، محمد. ٢٠١٩م. معضلة يوثيفرو الأخلاقية: الحصار المخادع للآمر الإلهي بالأخلاق، http://www.qurbah.com/2019/06/ethical-yuthifro-dilemma/

(٣٥) انظر: https://www.youtube.com/watch?v=DFjO9gtoB7o

(٣٦) https://www.youtube.com/watch?v=DFjO9gtoB7o

(٣٧) انظر: ناوابي، **لماذا ليس هناك إله**، ص٢١.

(٣٨) انظر: ناوابي، **لماذا ليس هناك إله**، ص٢١.

(٣٩) انظر: https://www.youtube.com/watch?v=DFjO9gtoB7o ؛

وانظر: http://www.qurbah.com/2019/06/ethical-yuthifro-dilemma/

(٤٠) انظر: https://www.youtube.com/watch?v=DFjO9gtoB7o

وانظر: http://www.qurbah.com/2019/06/ethical-yuthifro-dilemma/

(٤١) انظر: https://www.youtube.com/watch?v=DFjO9gtoB7o

(٤٢) انظر: https://www.youtube.com/watch?v=DFjO9gtoB7o

(٤٣) انظر: http://www.qurbah.com/2019/06/ethical-yuthifro-dilemma/

(٤٤) انظر: https://www.youtube.com/watch?v=DFjO9gtoB7o

وانظر: http://www.qurbah.com/2019/06/ethical-yuthifro-dilemma/

(٤٥) انظر: ناوابي، **لماذا ليس هناك إله**، ص٢٢.

(٤٦) انظر: سامي العامري، **مشكلة الشّر ووجود الله: الرّدّ على أبرز شبهات الملاحدة**، الخبر، مركز تكوين للأبحاث والدّراسات، السعوديّة، ٢٠١٦م (ط٢)، ص١٧- ١٨، ص٢٢، ٨٦.

(٤٧) انظر: ابن تيمية، تقي الدّين. **درء تعارض العقل والنقل**، تحقيق: سالم، محمد. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤١١هـ- ١٩٩١م، ج٤، ص٢٨٣، ج٥، ص٢٥١، ج١٠، ص١١٢، ج١، ص٦٨، ج٢، ص٤١، ج٩، ص٢٧١، ج٢، ص٢٤٦- ٢٦٤ وللمزيد من الرّدود على المعتزلة يُنظر: الحنفي، ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، حقّقها وراجعها: جماعة من العلماء، وخرّج أحاديثها: الألباني، ناصر الدّين، المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط٩، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨ م، ص٢٤٩، ص٤٣٧، ص١٣٦، ص١٧٣، وانظر، الجوزية، ابن قيّم. مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين، ابن الموصلي، المحقق: إبراهيم، سيّد، دار الحديث، القاهرة – مصر، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، ص٢٢٢، ص٥٠٦، ص١٤٣، وانظر، الظاهري، ابن حزم. الفصل في

الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج٣، ص٥٧، ج٣، ص٣٢- ٧٩، ج٣، وانظر، الأشعري، أبو الحسن. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، عنى بتصحيحه: هلموت ريتر، دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا)، ط٣، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، ص٢٩٠- ٢٩٢، ص٥٣٨- ٥٤٠، ص٥٥٤، وانظر، الغزالي، أبو حامد. الاقتصاد في الاعتقاد، وضع حواشيه: الخليلي، عبد الله، محمد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، ص٤٩- ٥٠، ص١١، ص٩١، ص٩٧، وانظر، الأشقر، عمر. القضاء والقدر، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط١٣، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م، ص١٧-١٩، ص٧٤- ٧٥، ص٣٣- ٣٥، ص٤٨، ص٥٤، وانظر، السنيدي، فهد. خلق أفعال العباد بين أهل السنة ومخالفيهم، بحث، كلية التربية، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية، مجلّة كليّة الآداب، العدد ٤٠، ٢٠١٥، وانظر، عاشور، سعد. موقف الفرق الإسلامية من أفعال العباد، مجلّة الجامعة الإسلامية، المجلد ٩، العدد ٢، ص٢٧٤، ص٢٠٠١. غزة، فلسطين، ص٢٤١- ٢٤٥، وانظر، بخيت، محمد. أفعال العباد بين الجبر والاختيار: دراسة تحليلية في العقيدة الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة، إشراف: الكردي، محجوب، رسالة دكتوراة، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، دائرة العلوم الإسلامية، شعبة العقيدة، ص٢٤٧- ٤٠٩، وانظر، أبو عمامة، نجادي. أفعال العباد في معتقد المعتزلة: دراسة في توجيه النص القرآني معجميًّا ودلاليًّا، مجلة اللغة العربية، المجلد ٢٤، العدد ١، ٢٠٢٢م، ص١٣٣- ١٦٧، وانظر، الحميدي، عبد العزيز، أفعال العباد بين أهل السنة ومخالفيهم، رسالة ماجستير، إشراف: الغامدي، أحمد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، كليّة الدعوة وأصول الدين، ١٤١١هـ، وانظر، حسن، مؤيد، خلق أفعال العباد بين المثبتين والمانعين عند المتكلّمين، بحث محكم، مجلة الجامعة العراقية، العدد ٤٨، ج٣، ص٢٦٤- ٢٧٢، وانظر، العمراني، يحيى. الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، تحقيق: الخلف، سعود، رسالة دكتوراة من قسم العقيدة في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية بإشراف الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد ١٤١١ هـ، أضواء السلف، الرياض - السعودية، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، ج١، ص١٦٨- ٢٠٧.

(٤٨) انظر: العامري، **مشكلة الشّر ووجود الله**، ص٢١٧، ص٨١.

(٤٩) هي مغالطةٌ منطقيّةٌ تقوم على أساس محاكمة أشخاصٍ، أو أشياءٍ موجودةٍ في الواقع بناءً على مواصفاتٍ وهميّةٍ يراها طارح المغالطة مثاليّةً، أو يريدها، ويتمنّاها أن تكون موجودةً في هذه الأشياء، أو الأشخاص، ولكنّها -في الحقيقة- مجرّد صفاتٍ وهميّةٍ لا صلة لها بالواقع، ولا بطبيعة هذه الأشياء، أو الأشخاص، وصفاتهم. للمزيد: انظر: العمري، **ليطمئن عقلي**، ص٥٤- ٥٥.

(٥٠) انظر: العمري، **ليطمئن عقلي**، ص٤١٣، ص٢٣٤، ص٥١- ٥٧.

(٥١) انظر: العمري، **ليطمئن عقلي**، ص٧٧- ٧٩.

(٥٢) انظر: العمري، **ليطمئن عقلي**، ص٢٣٠.

(٥٣) انظر: العمري، **ليطمئن عقلي**، ص١١٥- ١١٦.

(٥٤) انظر: العمري، **ليطمئن عقلي**، ص٨٨- ٩١.

(٥٥) https://www.enjeel.com/bible.php?ch=31&op=read&bk=4

(٥٦) https://www.enjeel.com/bible.php?ch=6&op=read&bk=6

(٥٧) https://www.enjeel.com/bible.php?ch=14&op=read&bk=5

(٥٨) انظر: العامري، **مشكلة الشر ووجود الله**، ص١١٥- ١١٦، ٨٨-٩١، انظر: عمري، **ليطمئن عقلي**، ص٢٣١.

(٥٩) مسلم بن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد عبد الباقي، دار إحياء التّراث العربي، (د. ت). بيروت، لبنان، ج٤، ص١٩٩٤، كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب تحريم الظّلم، حديث رقم: (٢٥٧٧).

(٦٠) انظر: العمري، **ليطمئن عقلي**، ص٥٨٦.

(٦١) انظر: العمري، **ليطمئن عقلي**، ص٥٨٣ - ٥٨٤.

(٦٢) انظر: العامري، **مشكلة الشر ووجود الله**، ص٣٦، ١٠٣، ١١٩- ١٢٠.

(٦٣) انظر: العامري، **مشكلة الشر ووجود الله**، ص١٥٠.

(٦٤) انظر: العامري، **مشكلة الشر ووجود الله**، ص١٣٢، ١٢٩- ١٣٠.

(٦٥) انظر: العامري، **مشكلة الشر ووجود الله**، ص١٢٤.

(٦٦) انظر: العامري، **مشكلة الشر ووجود الله**، ص٥٥- ٥٦.

(٦٧) انظر: العامري، **مشكلة الشر ووجود الله**، ص١٧٩.

(٦٨) انظر: العامري، **مشكلة الشر ووجود الله**، ص١٣٩- ١٤٠.

(٦٩) انظر: العامري، **مشكلة الشر ووجود الله**، ص١٠٣.

(٧٠) انظر: العامري، **مشكلة الشر ووجود الله**، ص٩٦.

(٧١) انظر: العامري، **مشكلة الشر ووجود الله**، ص١١٩- ١٢٠.

(٧٢) انظر: العامري، **مشكلة الشر ووجود الله**، ص١٢١.

(٧٣) انظر: العمري، **ليطمئن عقلي**، ص٢٣٥.

(٧٤) انظر: العامري، **مشكلة الشر ووجود الله**، ص٩٦- ٩٧، ص١٠٢.

(٧٥) انظر: العامري، **مشكلة الشر ووجود الله**، ص١١٥.

(٧٦) انظر: العامري، **مشكلة الشر ووجود الله**، ص١٤٩.

(٧٧) انظر: ناوابي، **لماذا ليس هناك إله، ص** ٢٢- ٢٣.

(٧٨) انظر: يؤمن الرّبوبيّون -كما ذكرت سابقًا- من الملحدين بوجود الله -تعالى-، لكنّهم يُنكِرون وجود الآخرة.

(٧٩) انظر: عمري، **ليطمئن عقلي**، ص٢٧٠- ٢٧٣.

(٨٠) انظر: العامري، **مشكلة الشر ووجود الله**، ص٥٧٧- ٥٧٨.

(٨١) انظر: إبراهيم أزرق، **كيف يكون تخليد الكافر في النّار عدلًا** ١٤٣٩هـ، https://almoslim.net/elmy/2894522

(٨٢) انظر: أزرق، **كيف يكون تخليد الكافر في النّار عدلًا**، https://almoslim.net/elmy/289452

(٨٣) انظر: ناوابي، **لماذا ليس هناك إله**، ص٢٣.

(٨٤) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب تحريم الظّلم، ج٤، ص١٩٩٤، حديث رقم: (٢٥٧٧).

(٨٥) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب القدر، باب معنى كلّ مولودٍ يُولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفّار، وأطفال المسلمين، ج٤، ص٢٠٤٧، حديث رقم: (٢٦٥٨).

(٨٦) وأهل الفترة همّ النّاس الذين يكونون بين أزمنة الرّسل، كما بين زمن عيسى، ومحمّد -ﷺ- إذ لم يكن بينهما رسولٌ إلى الخلق، قال ﷻ: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَاءنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ**

فَقَدْ جَاءكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١٩: المائدة]" و"قد انقرضوا وانقرض زمانهم بمبعث نبيّنا (محمّد) ﷺ". للمزيد: عقيل ابن عطيّة، **تحرير المقال في موازنة الأعمال وحكم غير المكلفين في العقبى والمآل**، تحقيق: مصطفى باحو، أبو ظبي، دار الإمام مالك، الإمارات العربيّة المتّحدة، ٢٠٠٦م (ط١)، ج١، ص٤١٤، ج٢، ٦٠٧.

(٨٧) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبيّنا محمّد ﷺ ونسخ الملل بملّته، ج١، ص١٣٤، حديث رقم: (١٥٣).

(٨٨) سام هاريس اسمه الأصلي ساميول بنجامين هاريس، ويُلفَظ اختصارًا: سام هاريس، هو عالم أعصاب، وكاتب، وفيلسوفٌ أمريكيّ ملحدٌ اشتُهِرَ بكتبه النّاقدة للدّين، والدّاعية للإلحاد، والعلمانيّة. للمزيد: انظر: https://www.arageek.com/bio/sam-harris

(٨٩) انظر: ناوابي، **لماذا ليس هناك إله**، ص٢٣.

(٩٠) ناوابي، **لماذا ليس هناك إله**، ص٢٣.

(٩١) انظر: ناوابي، **لماذا ليس هناك إله**، ص٢٣.

(٩٢) انظر: ناوابي، **لماذا ليس هناك إله**، ص٢٣.

(٩٣) محمّد بن إسماعيل البخاري، **الأدب المفرد للإمام البخاريّ**، تحقيق: محمّد الألبانيّ، دار الصّدّيق للنّشر والتّوزيع، ١٩٩٧م (ط٤)، باب حسن الخلق، حديث رقم: ٢٧٣، ص١١٨، صحّحه الألبانيّ في تحقيقه.

(٩٤) ناوابي، **لماذا ليس هناك إله**، ص٢٤.

(٩٥) انظر: ناوابي، **لماذا ليس هناك إله**، ص٢٤.

(٩٦) البخاري، **الأدب المفرد للإمام البخاريّ**، باب حسن الخلق، حديث رقم: (٢٧٣)، ص١١٨، صحّحه الألبانيّ في تحقيقه.

المصادر والمراجع

- أزرق، إبراهيم، **كيف يكون تخليد الكافر في النّار عدلًا** ١٤٣٩هـ، https://almoslim.net/elmy/289452
- الأشعري، أبو الحسن. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، عنى بتصحيحه: هلموت ريتر، دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا)، ط٣، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
- البخاري، محمّد بن إسماعيل، **الأدب المفرد للإمام البخاريّ**، تحقيق: محمّد الألبانيّ، دار الصّدّيق للنّشر والتّوزيع، ط٤، ١٩٩٧م.
- البخاري، محمّد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد ناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ، بيروت، لبنان.
- بخيت، محمد. **أفعال العباد بين الجبر والاختيار**: دراسة تحليلية في العقيدة الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة، إشراف: الكردي، محجوب، رسالة دكتوراة، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، دائرة العلوم الإسلامية، شعبة العقيدة.
- ابن تيمية، تقي الدّين. **درء تعارض العقل والنقل**، تحقيق: سالم، محمد. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.
- الجوزية، ابن قيّم. مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين، ابن الموصلي، المحقق: إبراهيم، سيّد، دار الحديث، القاهرة – مصر، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

- حسن، مؤيد، **خلق أفعال العباد بين المثبتين والمانعين عند المتكلّمين**، بحث محّكم، مجلة الجامعة العراقية، العدد ٤٨، ج٣.
- حسين، محمّد، **الشّريعة الإسلاميّة صالحةٌ لكلّ زمانٍ ومكان**، تقديم: محمّد عمارة، دار نهضة مصر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ١٩٩٩م. القاهرة، مصر.
- الحميدي، عبد العزيز، **أفعال العباد بين أهل السنة ومخالفيهم**، رسالة ماجستير، إشراف: الغامدي، أحمد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، كليّة الدعوة وأصول الدين، ١٤١١هـ.
- الحنفي، ابن أبي العز، **شرح العقيدة الطحاوية**، حقّقها وراجعها: جماعة من العلماء، وخرّج أحاديثها: الألباني، ناصر الدّين، المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط٩، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨
- دني. ي. **أصول الأخلاق**، ترجمة: إبراهيم رمزي، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ٢٠١٦م.
- السنيدي، فهد. **خلق أفعال العباد بين أهل السنة ومخالفيهم**، بحث، كلية التربية، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية، مجلّة كليّة الآداب، العدد ٤٠، ٢٠١٥.
- شريف، عمرو، **الإلحاد مشكلةٌ نفسيّةٌ: علم نفس الإلحاد**، نيوبوك للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٦م، القاهرة، مصر.
- الأشقر، عمر. **القضاء والقدر**، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط١٣، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م.
- الظاهري، ابن حزم. **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- عاشور، سعد. **موقف الفرق الإسلامية من أفعال العباد، مجلّة الجامعة الإسلامية**، المجلد ٩، العدد ٢، ص٢٧٤، ص٢٠٠١. غزة، فلسطين.
- العامري، سامي. **مشكلة الشّر ووجود الله: الرّدّ على أبرز شبهات الملاحدة**، مركز تكوين للأبحاث والدّراسات، ط٢، ٢٠١٦م، الخبر، السعوديّة.
- عبود، محمد. **أشكال العنف الأسري لدى طلبة المرحلة الثانوية في محافظة إربد**، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ٢٠٠٦م، إربد، الأردن.
- ابن عطيّة، عقيل، **تحرير المقال في موازنة الأعمال وحكم غير المكلفين في العقبى والمآل**، تحقيق: مصطفى باحو، دار الإمام مالك، ط١، ٢٠٠٦م، أبو ظبي، الإمارات العربيّة المتّحدة.
- العقاد، عباس محمود. **الفلسفة القرآنية**، مؤسسة هنداوي، يورك هاوس، المملكة المتحدة، ٢٠١٤م.
- علي، طارق، **الإعلام الطائفي**، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، ٢٠٢٠م، عمان، الأردن.
- أبو عمامة، نجادي. **أفعال العباد في معتقد المعتزلة**: دراسة في توجيه النص القرآني معجميًّا ودلاليًّا، مجلة اللغة العربية، المجلد ٢٤، العدد ١، ٢٠٢٢م.
- العمراني، يحيى. **الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار**، تحقيق: الخلف، سعود، رسالة دكتوراة من قسم العقيدة في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية بإشراف الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد ١٤١١ هـ، أضواء السلف، الرياض – السعودية، ط١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م.
- العمري. أحمد، **ليطمئن عقلي**، عصير الكتب للنّشر والتّوزيع، ط١، ٢٠١٩م، القاهرة، مصر.
- الغزالي، أبو حامد. **الاقتصاد في الاعتقاد**، وضع حواشيه: الخليلي، عبد الله، محمد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ–٢٠٠٤م.

- قطب، محمد. **شبهات حول الإسلام**، دار الشّروق، ط ٢١، ١٩٩٢م، القاهرة، مصر.
- كافانو، ويليام، **أسطورة العنف الديني: الأيديولوجيا العلمانية وجذور الصراع الحديث**، ترجمة: أسامة غاوجي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط١، ٢٠١٧م، بيروت، لبنان.
- مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد عبد الباقي، دار إحياء التّراث العربي، (د. ت). بيروت، لبنان.
- مصطفى، عادل، **المغالطات المنطقية: فصول في المنطق غير الصوري**، مؤسسة هنداوي سي آي سي للنشر والتوزيع، ٢٠١٩م، القاهرة، مصر.
- ناوابي، أرمين. **لماذا ليس هناك إله: أجوبةٌ مبسّطةٌ لأشهر عشرين ادّعاءً يزعم وجود الله**، ترجمة: عبد الله أحمد، دار الليبرالية، (د. ت)، أربيل، العراق، الجمهورية الملحدة.

مواقع الإنترنت:

- https://cutt. us/G2OR5
- https://www. youtube. com/watch?v=63oZJo_szp4
- https://www. youtube.com/watch?v=63oZJo_szp4
- https://books. google. jo/books?id=qW2-BAAAQBAJ&source=gbs_navlinks_s
- https://www. enjeel. com/bible. php?ch=31&op=read&bk=4
- https://cutt. us/E8L2Q
- https://www. un. org/ar/events/slaveryremembranceday/background. Shtm1
- https://cutt. us/VLkXH
- https://www. youtube. com/watch?v=DFjO9gtoB7o
- http://www. qurbah. com/2019/06/ethical-yuthifro-dilemma/
- http://www. qurbah. com/2019/06/ethical-yuthifro-dilemma/
- http://www. qurbah. com/2019/06/ethical-yuthifro-dilemma/
- https://www. enjeel. com/bible. php?ch=31&op=read&bk=4
- https://almoslim. net/elmy/289452
- https://www. arageek. com/bio/sam-harris

المصادر والمراجع الرومنة:

- Azraq, Ibrāhīm, Kayfa yakūn Takhlīd al-kāfir fī alnnār ‘dl.
- albkhary, mhmd, shyh albkhary, thqyq: mhmd nasr, dar twq alnjah, 1422h., t1, byrwt, lbnan.
- albkhary, mhmd, aladb almfrd llemam albkhary,thqyq: mhmd alalbany, dar alsdyq llnshr waltwzy'1997m. t4.
- Ḥusayn, Muḥammad, alshshry‘h al’slāmyyh ṣālḥtun lkll zmānin wa-makān, taqdīm: Muḥammad ‘Imārah, Dār Nahḍat Miṣr llṭṭbā‘h wālnnshr wālttwzy‘, 1999M. al-Qāhirah, Miṣr.

- Duná. Y. uṣūl al-akhlāq, tarjamat: Ibrāhīm Ramzī, al-Qāhirah, Mu’assasat Hindāwī lil-ta‘līm wa-al-Thaqāfah, Miṣr, 2016m.
- shryf, 'mrw. alelhad mshklhun nfsyhun: 'lm nfs alelhad, nywbwk llnshr waltwzy', 2016 m. t1, alqahrh, msr.
- al'amry, samy. mshklh alshr wwjwd allh: alrd 'la abrz shbhat almlahdh, mrkz tkwyn llabhath waldrasat, 2016m, t2, alkhbr, als'wdyh.
- 'ly, tarq. ale'lam alta'fy, dar alyazwry al'lmyh llnshr waltwzy', 2020m. 'man, alardn.
- al'mry. ahmd. lytm'n 'qly, 'syr alktb llnshr waltwzy'2019m. t1, alqahrh, msr.
- ‘Abbūd, Muḥammad. Ashkāl al-‘unf al-usarī ladá ṭalabat al-marḥalah al-thānawīyah fī Muḥāfaẓat Irbid, Risālat mājistīr, Jāmi‘at al-Yarmūk, 2006m, Irbid, al-Urdun.
- qtb, mhmd. shbhat hwl aleslam, dar alshrwq, 1992m, t21, alqahrh, msr.
- kafanw, wylyam. astwrh al'nf aldyny: alaydywlwjya al'lmanyh wjdwr alsra' alhdyth, trjmh: ghawjy, asamh. alshbkh al'rbyh llabhath walnshr, (d. t.) t1, byrwt, lbnan.
- mslm,. shyh mslm, dar ehya' altrath al'rby, thqyq: mhmd 'bd albaqy, (d. t.), byrwt, lbnan.
- mstfa, 'adl. almghaltat almntqyh: fswl fy almntq ghyr alswry, m'sst hndawy sy ay sy llnshr waltwzy', 2019m. alqahrh, msr.
- nawaby, armyn. lmada lys hnalk elh: ajwbhu mbsthun lashhr 'shryn ad'a'an yz'm wjwd allh, trjmh: 'bd allh ahmd, aljmhwryh almlhdh.